

أحسن ما سمعت

- في النسل والتشبيب . ● في الشباب والشيب .
- في التهاون والتهاون . ● في المرائي والتعازي .
- في الربيع وآفاره . ● في الأمكنة والأبنية .
- في مكالم الأهل والأقارب . ● في مساوي الأهل والأهل .
- في الملوكيات والإلهوانيات .

لأبي منصور الثعالبي

٣٥٠ - ٤٢٩ هـ

شرحها وعلس عليها وصقها

محمد بن القيم بن سليم

دار الطلائع

للنشر والتوزيع والتصدير
٥٩ شارع محمد الحكيم الرافعي ناحية امتداد فكر وعيد
وميدان فهران - مدينة نصر القاهرة - فاكس ٤٤٨٠٤٨٣
تليفون ٢٧٤٤٦٤٩ / ٢٤٧٩٨٦٣

الوكلاء بالدول العربية

السعودية

☐ الحظر البيضاء ☐

ت ٤٦١٠٧٧٦ - ٤٦١٠٧٩٣ فاكس ٤٦٥١٦٦٤ ص.ب : ٨٩٥٦٢ الرياض
الرمز - ١١٦٩٢

☐ كنوز المعروفة ☐

جدة ت : ٤٦١ - ٦٥١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٢ ص.ب : ٢٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

☐ حطو المعروفة ☐

40 شارع فيكتور ميكو - الدار البيضاء ص.ب : 4150 ت : 300567 - 309520

☐ للمكتبة السلفية ☐

12 حي النخلة - زنقة الإمام السطاسي - الدار البيضاء ت : 307643

الجزائر

☐ حطو القسيلة ☐

بني - بيرة - ص.ب : 1٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

☐ حطو المحكمة ☐

ص.ب : ٢٢٨٧٥ هاتف ٢٣٦٠٢٢

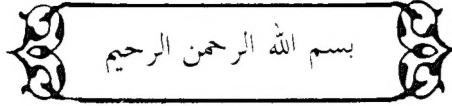
الجمهورية العربية الليبية

☐ حطو لفرجات ☐

ص.ب : 132 هاتف 44873 - 604431 طرابلس : الجمهورية العربية الليبية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للناشر



تقديم :

الناس في كل مكان وزمان يبحثون عن الأفضل والأحسن في كل مجالات الحياة ، وهذا من حقهم ، فلا يستوى الخبيث والطيب !

ورحلة البحث عن «الأحسن» لا يقدر عليها إلا من مُنح المقدرة على التمييز بين الغث والسمين ، والطيب والخبيث ، والجيد والردى ، والعالى والهابط !

وأبو منصور الثعالبي بما له من ذوق أدبي ، وحاسة لغوية ، ومهارات فنية أوتي القدرة على اختيار النصوص الشعرية وجمعها ؛ فراح يختار لنا منها «أحسن ما سمع» سواء في ذلك ما أنشدته معاصروه أو سابقوه ، أو رواه أصدقاؤه ومحبه ، أو قاله هو معارضاً لهم ، أو ناظماً على منوالهم ؛ فجاء كتابه هذا — بحق — كما قال : «نزهة للناظر وبهجة للخاطر» ! .

وكيف لا ، وأبو منصور — كما قال ابن خلكان في وفيات الأعيان — «جامع أشات النثر والنظم» ؟!

لقد كان «أبو منصور الثعالبي» ممن شهدوا العصر الثالث العباسي الذي بلغ فيه النضج العلمي غايته ، وظهرت الكتب الجامعة في شتى العلوم من لغة وتاريخ وجغرافية وأدب وفلسفة .

ونفض الأدب في ظل الدويلات في العراق وفارس وخراسان على يد البُوَيْهِيِّين ، كما نهض في تركستان على يد السَّامَانِيِّين في بُخَارَى ونيسابور مسقط رأس أبي منصور .

وإذا كان أبو منصور شاهداً على عصره بما جمعه في «يتيمته» وغيرها من مؤلفاته ومختاراته ، فإن من حقه علينا أن ننشر تراثه ، ونقدمه للأجيال المتعطشة إلى الأدب في عصوره الزاهرة !

وإذا كانت ألسنة الخلق أقلام الحق ، فإن كبار المؤلفين يشهدون لأبي منصور :

• قول الحُصْرَى صاحب زَهْر الآدَاب :

« هو فريدُ دهرِه ، وقرِيعُ عَصْرِه ، ونسيحُ وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب » .

• ويقول الأنباري في كتابه نزهة الألبا :

« كان أديباً فاضلاً ، فصيحاً بليغاً » .

• ويقول ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان : قال ابن بسام في حقه :

« جامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنفين بحكم أقرانه » .

• ويقول الصفدي في كتاب الوافي بالوفيات :

« كان يلقَّب بمحافظ زمانه ، وتصانيفه الأدبية كثيرة إلى الغاية » .

هذا هو أبو منصور في مرآة كبار المؤلفين والنقاد ..

لقد ولد وسط تخضم علمي أدبي مزدحم بألوان العلوم والآداب ..

وفي « نيسابور » كان مولده ، وفيها كانت وفاته (٣٥٠ هـ

— ٩٢٩/٤٦١ م — ١٠٣٨ م) .

ولقد فتح عينيه على أقدم المدارس الإسلامية في مدينته يشرف عليها جمهرة

واعية من النابغين فحببوا إليه أن يكون معلماً ..

وآثر مهنة التعليم على صناعة فراء الثعالب التي كان ينسب إليها !

وإذا كان بعض سلاطين آل بويه والسامانيين قد أغرم بالعلم والعلماء فإن

الناس على دين ملوكهم .

من هنا راح « الثعالبي » يمتص الرحيق والأفكار من كل نبع ، ويقدمه سائغاً

سهلاً ليصبح في عداد من يضمهم مجلس السلطان من العلماء والأدباء ، وإذا هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف . وإذا بالسلطان « نوح بن منصور » من ملوك الدولة السامانية يقربه إليه ، ويضمه إلى مجلسه .

وقد تجلى نشاطه في الجمع الذي يترأى فيه الشكل السهل الطريف ، والاختيار الحسن الجميل .

ونجد له ترجمة كاملة في وفيات الأعيان لابن خلكان ، ودمية القصر للباخرزي ، وشذرات الذهب لابن العماد .

كتبه :

ذكر له الصفدى نحواً من « تسعين كتاباً » من بينها ما يحمل أسماء مختلفة مثل « كتاب أحاسن المحاسن » ؛ ففي دار الكتب وباريس نسختان تحمل كل منهما هذا الاسم ، وفي دار الكتب أيضاً منه نسخة تحمل « أحسن ما سمع » ، وكذلك في الآستانة .

وقد طبع في مصر سنة ١٨٩٧ م باسم « أحسن ما سمعت » .

وقد أحصى بروكلمان كتبه في موسوعته : تاريخ الأدب العربى فكانت ٥٣ كتاباً ، ذكر منها تحت رقم (٢١) « أحسن ما سمعت » كوبريل ١١٩٧ هـ . ونشره محمد أفندى صادق عنبر في القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ . وترجم في ليزج سنة ١٩١٦ م .

وإذا كان أبو منصور قد عاش ما يقرب من ثمانين عاماً فإنه قد ترك لنا ما يقرب من ثمانين مؤلفاً تنقص عنها أو تزيد قليلاً .

ومهما يكن من شيء فإن ما جمعه أبو منصور في كتابه « أحسن ما سمعت » لا غنى عنه لدارسى الأدب ، ومحبي الشعر والحكمة ، من المدرسين والمتحدثين والخطباء ؛ فإنه يصعب على المتخصص أن يوفق إلى جمعه ، ولم شمله ، في عصر صارف عن الرجوع إلى الأمهات ، إنه يضم نماذج عالية لا سبيل إليها إلا بالنظر والبحث في كتب كثيرة جامعة .

لهذا صرح عزمى على نشره ، لم يصرفنى أنه نشر نشرة أولى ؛ ذلك لأنه يخلو من تحقيق كثير ، وإيضاح غير قليل ، يُفيد منه أبناءنا الذين حال بينهم وبين أيسر تراثهم أنهم أصبحوا لا يَقْوُونَ على فهمه .

ولقد عرفت بكثير من الشعراء من أصحاب تلك الأحاسن ، وألقيت الضوء على ما يحتاج منها إلى شرح وإيضاح ، وصوبت كثيراً مما أصابه التحريف والتصحيف بالرجوع إلى أمهات كتب الأدب كالعقد الفريد لابن عبد ربه ، وديوان المعاني للعسكري ، وزهر الآداب للحصرى ، وغير ذلك .

لقد ضم هذا الكتاب اثنين وعشرين باباً من المحاسن الشعرية فى الإلهيات ، والنبويات ، والإخوانيات ، والملوكيات ، والأدبيات ، ثم انتقل منها إلى الربيع وآثاره ، والصيف والخريف والشتاء ، وحلق فى الآثار العلوية ، ثم عاد إلى الدنيا والدر ، والطعاميات ، والنساء ، والتشبيب بهن ، والشباب والشيب ، ومكارم الأخلاق والمدايح والشكر والعذر ، والاستراحة والاستباحة وما يجرى مجراها ، ثم انتقل إلى مساوئ الأخلاق والأهاجى ، والأمراض والعيادات وما ينضاف إليها .

وينتقل بنا بعد هذا إلى التهانى والتهادى ، ثم المراثى والتعازى ، وأخيراً يغمرنا بفنون من الأحاسن مختلفة الترتيب ، كل ذلك فى اثنين وعشرين باباً كاملة .

أما البابان الباقيان من أبواب الكتاب وهما يتعلقان بـ « الخمریات » و « الغزل بالمذكر » فقد تركتهما حرصاً منى على ما فيه مصلحة الناشئين والمتعلمين .

ففى تلك النماذج التى تضمنها الباب السادس « فى الخمریات » والباب الرابع عشر « فى الغزل بالمذكر » ما يستحق الأديب من قراءته ، ويخجل مثلى من شرح عبارته ، ولا يجمل بالناشئين أن يستشعروا معناه ، أو تنساق أذهانهم إلى مغزاه ، وأعوذ بالله أن أرمى صاحب المختارات بلائمة تنتقص من قدره ، أو أعيبه بما يحط من أمره ، ولكن لكل زمان مقال ، ولكل خيال مجال !

وهذا عذرى فى ترك هذين البابين ، وإغفال بعض أبيات تدور فى فلكهما .

« وليس هذا العمل بدعاً ولا من الممنوع شرعاً — كما يقول الإمام محمد عبده فى « مقدمة مقامات بديع الزمان الهمداني » فقد جرت سنة العلماء بالتهذيب والتمحيص ، والتنقيح والتلخيص ، وليس من منكر عليهم فى شىء من ذلك .

وإنما الممنوع أن يؤتى ببعض ذلك أو كله مع السكوت عنه ، فىكون تغريراً للناس ، وضلة للقاصر ، ونسبة قول لغير قائله ، وحمل أمر على غير حامله ، وهذا من الظاهر الجلى عند العارفين ، وإنما يبعث على بيانه سوء ملكة المتشدين ! » .

وأسأل الله أن يمنحنى القدرة على إحياء مكتبة الثعالبي ، وألا يحرمنى مثوبة هذا العمل عنده ، وأن يكفينى من الأمر ما يكفى الربّ عبده ، وهو ولى الإجابة ، وإليه الإنابة .

محمد إبراهيم سليم

القاهرة فى يوم الأحد ٢٦ من شعبان سنة ١٤١٢ هـ

الموافق أول مارس ١٩٩٢ م

محمد

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال الشيخ الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعلي
— عفا الله عنه —

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

«وبعد» فقد أثبت في كتابي هذا «أحسن ما سمعت» وسميته بذلك ورتبته
على اثنين وعشرين باباً . فجاء نزهة للنظر ، وبهجة للخاطر ، وبالله المعونة
وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وها هي ذى أبواب الكتاب :

- | | | |
|---------------------------------------|---|----------------------------|
| الباب الأول | : | في الإلهيات . |
| الباب الثاني | : | في النبويات . |
| الباب الثالث | : | في الملوكيات . |
| الباب الرابع | : | في الإخوانيات . |
| الباب الخامس | : | في الأدبيات . |
| الباب السادس | : | في الحمريات .. |
| [أغفلنا ذكره لما فيه من إغراء بشرها!] | | |
| الباب السابع | : | في الربيع وآثاره . |
| الباب الثامن | : | في الصيف والخريف والشتاء . |
| الباب التاسع | : | في الآثار العلوية . |
| الباب العاشر | : | في الدنيا والدهر . |
| الباب الحادى عشر | : | في الأمكنة والأبنية . |
| الباب الثانى عشر | : | في الطعاميات . |

- الباب الثالث عشر : فى البساء والتشبيب .
- الباب الرابع عشر : فى الغزل ..
- [أغفلنا ذكره لما فيه من غزل بالمدكر!] .
- الباب الخامس عشر : فى الشباب والشيب .
- الباب السادس عشر : فى مكارم الأخلاق وفى المدائح .
- الباب السابع عشر : فى الشكر والعذر والاستباحة .
- والاستباحة وما يجرى مجراها .
- الباب الثامن عشر : فى مساوىء الأخلاق والأهاجى .
- الباب التاسع عشر : فى الأمراض والعيادات وما ينضاف إليها .
- الباب العشرون : فى التهاني والتهادى .
- الباب الحادى والعشرون : فى المراثى والتعازى .
- الباب الثانى والعشرون : فى فنون من الأحاسن مختلفة الترتيب .



الباب الأول

تجد فيه من المحاسن الشعرية في الإلهيات ما يأتي :

- [١] أحسن ما جاء نظماً في حمد الله وذم الزمان .
- [٢] أحسن ما قيل في الشكر لله على نعمته .
- [٣] أحسن ما سمع في التوحيد .
- [٤] أحسن ما قيل في الاستغناء بالله عن غيره .
- [٥] أحسن ما قيل في التوكل على الله .
- [٦] أحسن ما قيل في الشاء على الله عند وصف الأشياء الجميلة :
- (أ) أحسن ما قيل في النرجس .
- (ب) أحسن ما قيل في استحسان الصورة .
- (ج) أحسن ما قيل في الربيع .
- [٧] أحسن ما قيل في الإلهيات .

فِي الْإِلَهِيَّاتِ

[١] أحسن ما جاء نظماً في حمد الله وذم الزمان .

[أ] قول ابن المعتز :

حمداً لربي ، وذمّاً للزمان ؛ فما أقلّ في هذه الدنيا مسراتي !

[ب] وقول مؤلف الكتاب :

حمدتُ إلهي ، والزمانُ ذمّمتهُ فقد طالما أغرى بقلبي البلبلا
وعندي من لوم الزمانِ رقائقٌ أعدّها من فضل ربي جلائلا

[١/ أ] الإلهيات : كل ما يتعلق بذات الإله وصفاته .

وابن المعتزّ (أبو العباس عبد الله) (٨٩١ — ٩٠٨ م) أمير عباسي ، شاعر وأديب ، وليّ الخلافة يوماً ، وبعض يوم بعد خلع المقتدر ، ولقب « المرتضى بالله » . له ديوان شعر . جمعه أبو بكر الصولي ، وطبقات الشعراء ، وكتاب البديع . اشتهر بوصفه المبتكر ، ووافر علمه ، وسلامة ذوقه ونقده . وقد تكرر ذكر نماذج من شعره نالت إعجاب الثعالبي . وربنا — سبحانه — هو الذي لا يحمد على مكروه سواه ، ويراد بدم الزمان . ما يأتي به .

[١/ ب] البلبال : شدة الهم وكذا البلبال . وأغرى : ألقي .

والرفائق : جمع رقيقة ، وهي ما لان وسهل من القصائد .

والجلائل : جمع جليلة .

[٢] من أحسن ما قيل في الشكر لله على نعمته :

[أ] قول محمود :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمةً على له في مثلها يجبُ الشُّكرُ
فكيف بلوغُ الشُّكرِ إلا بفضلِهِ وإن طالَتِ الأيامُ واتصلَ العُمُرُ
إذا عمَّ بالسَّراءِ عمَّ سرورُها وإن خَصَّ بالضراءِ أعقَبَها الأجرُ
ومن أحسن ما قيل في ذلك أيضاً :

[ب] قول صالح بن عبد القدوس :

للهُ أحمدُ شاكرٌ —————
أصبحتُ مسروراً مُعافًى
خلوا من الأحزانِ خِـ
حرّاً فلا مِننٌ نخـ
سَيَّانٍ عِنْدِي ذُو الغنى المـ
وَيَقِنْتُ بالناسِ الأذى
والناسِ كُلُّهُمُ لِمَن
فبلاؤه حسنٌ جميلٌ
بين أنعمِهِ أَجْـوَلُ
ف الظَّهْرِ يُقْنَعُنِي القليلُ
لحوقٍ ولا أصلٌ أصيـلُ
تلافٍ والمُثَرِّى البخيـلُ
مِنِّي فَطابَ لِي المَقِيلُ
خَفْتُ مَثْوئَتِهِ خَليـلُ

[١/٢] محمود بن حسن الوراق : شاعر ، أكثر شعره في المواعظ والحكم ، روى عنه ابن أبي الدنيا [فوات الوفيات ٢ : ٢٨٥] .

[٢/ب] صالح بن عبد القدوس (.. نحو ١٦٠ هـ = ... نحو ٧٧٧ م) .

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله الأزدي الجذامي مولاهم شاعر حكيم كان متكلماً يعظ الناس بالبصرة . له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات ، وشعره كله أمثال وحكم وآداب . قيل في حكمه إنها لو وزعت على الشعر العربي لزانته .

وقوله : بلاؤه : المعن التي تنزل بالمرء ليختبر بها . ومعافًى : مبرراً من العلل =

[جـ] ومن أحاسن محمود في ذلك قوله :

فلو كان يَسْتَعْلَى على الشُّكْرِ ماجدٌ لِعِزَّةِ نفسٍ أو غُلُوِّ مَكَانٍ
لَمَّا أَمَرَ اللهُ الحَكِيمُ بشكرِهِ فقال : اشكروا لى أيا الثَّقَلانِ

[د] ومن أحاسن البحتري قوله :

ما أضعفَ الإنسانَ لولا قوَّةُ فى رأيه وأصاله فى لُبِّه
من لا يقومُ بشُكْرِ نعمةِ خَلِّه فمتى يقومُ بشُكْرِ نعمةِ رَبِّه ؟!

= صحيحاً فى بدنه . والخَلُو : (بكسر الخاء) الفارغ البال من الهموم .
خَفَّ الظهر : يقال : هو خفيف الظهر : أى قليل الأولاد . والمنن : جمع
مِنَّة وهى الإحسان والإنعام ، واستكثار الإحسان والفخر به حتى يفسده ومنه
قولهم : المِنَّة تهدم الصنعة . وَيَقْنُت (بكسر القاف) : علمت وتحققت .
خفت مئوته : لم يثقل عليهم ، واستغنى عنهم . وعندما تحققت أن الأذى
واقع بالناس عندما أحتلظ بهم وأثقل عليهم آثرت العزلة والمقيل ، فالناس كلهم
خليل لمن خفت مئوته ، وهكذا أصبحت بلا أعداء .

[٢/ جـ] محمود : سبقت الترجمة له . والثقلان : الإنس والجن .
وقوله اشكروا لى : إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ فاذكرونى أذكركم
واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٢]

[٢/ د] البُحْتُرى : (أبو عُبادة) (٨٢٠ — ٨٩٧ م) : ولد فى بادية مَنبِج .
شاعر عربى طائى . اختص بخدمة المتوكل ، ووزيره الفتح بن خاقان : عاد إلى
منبج وتردد على بغداد وسامراء يمدح بهما الخلفاء والأمراء . اشتهر بوصف
الطبيعة والعمران وبحسن الديباجة . له ديوان «كتاب الحماسة» على مثال
حماسة أبى تمام أستاذه . توفى فى منبج .

واللَّبَّ : العقل . والخَلَّ : الخليل والصديق ، وفى هذا المعنى جاء القول
المأثور « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » .

[هـ] ومن أحسن ما قيل :

كم نعمة لا يُستَقَلُّ بشكرها لله في طيِّ المكاره كامنَةٌ

[٣] ومن أحسن ما سمعته في التوحيد :

[أ] قول أبي العتاهية :

أيا عجباً كيف يُعَصِي الإلَه أم كيف يَجْحَدُه الجاحدُ ؟!
وفي كُلِّ شَيْءٍ له آيَةٌ تدلُّ على أنَّه الواحِدُ
ولله في كل تحريكَةٍ وتسكينَةٍ أبداً شاهدُ

[ب] ومن أحسن أبي الفتح البستي قوله :

كُلُّ مَنْ يَرْتَقِي إِلَيْهِ بِهِمْ من جلالٍ وقُدْرَةٍ وسَناءٍ
فالذي أبدع البريةَ أعلى منه سبحانَ مُبْدِعِ الأشياءِ

[٣/ هـ] استقل الشيء : حمله ورفعهُ : والمراد : ما أكثر النعم التي يعجز
الإنسان عن شكرها ، ومع ذلك فهي كامنَةٌ في طيِّ المصائب !

[٣/ أ] أبو العتاهية : (أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي بالولاء)
(٧٤٨ — ٨٢٥ م) شاعر مكثّر سهل الأسلوب ، ولد بعين التمر بالعراق أو
بالكوفة ، على أنه نشأ بالكوفة ، كنى بأبي العتاهية لميله إلى المجون والتعته .
أغلب شعره في الزهد والتنكر للدنيا مع حرصه الشديد على المال ، كان أول
اتصاله بالمهدى ، ثم اتصل بالهادي ، وبلغ منزلة عالية عند الرشيد .

ويجحده : ينكره . شاهد : دليل .

[٣/ ب] أبو الفتح البستي : هو علي بن محمد الكاتب الشاعر ، أحد المولعين
بالتجنيس ، وأحد رؤساء الكتاب في الدولة الغزنوية والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

[٤/ أ] الوهن : الضعف ؛ فعقيدة المسلم السليمة أن الرزق بيد الله ، وهو =

[٤] ومن أحسن ما قيل في الاستغناء بالله من غيره :

[أ] قول محمود :

لا تخضعن مخلوق على طمع فإن ذلك وهن منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه فإن ذلك بين الكاف والنون

[و] وأحسن منه .. قول عبد الصمد — وهو من قلائده — :

تُكَلِّفُنِي إِذْلالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وهانَ عليها أن أهانَ وتُكْرِمَا
تَقُولُ : سَلِ المَعْرُوفَ يَحْيَى بنَ أَكْثَمَ فَقُلْتُ : سَلِيهِ رَبَّ يَحْيَى ابنَ أَكْثَمَا

[ز] وأحسن منه قول ابن المعتز :

دَعِ النَّاسَ إِذْ طَالَمَا أَتَعَبُوا لَكَ وَأَدِّ إِلَى اللَّهِ وَجْهَ الأَمَلِ
وَلَا تُطَلِّبِ الرِّزْقَ مِنْ طَالِبٍ هِـ وَاطْلُبْهُ مِمَّنْ لَهُ قَدْ كَفَلَ

= الرزاق . ومن أجل هذا كان علينا أن نسترزقه وحده : أى نطلب الرزق منه
فألهزمة والسين والتاء في استرزق للطلب . والكاف والنون « كن » فيكون !
[٤ / و] عبد الصمد بن منصور بن الحسن شاعر مجيد مكث من أهل بغداد ،
له ديوان شعر ، وفد على صاحب بن عباد .

ويحيى بن أكثم (ت ٢٤٢ هـ / ٨٥٧ م) فقيه من الكبار ذو اجتهاد ، ولد
بمرو ، وتوفي في الربرة . ولى قضاء البصرة وعمره ٢٠ سنة . قاضى قضاء
بغداد على أيام المأمون ، ومدبر المملكة .

وما جاء في البيتين يتفق مع الوصية النبوية لابن عباس : « إذا سألت فاسأل
الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » .

[٤ / ز] وقريب مما تضمنه هذان البيتان قول القائل :

إن الذى أنت ترجوه وتأمله من البرية مسكين ابن مسكين .

[٥] ومن أحاسين ما قيل في التَّوَكُّلِ على الله :
قول عبد الله :

هو الصبرُ والتسليمُ لله والرِّضَا إذا نزلت بي حُطَّةٌ لا أشاؤها
إذا نحنُ أُنبا سالمين بأنفسِ كرامٍ رَجَتْ أَمراً فخابَ رجاؤها
فأنفسنا خيرُ الغنيمةِ إنها تتوبُ وفيها ماؤها وحياؤها

[ب] ومن أحسن ما قيل فيه قول بعضهم :

توكلُ على الله في النائباتِ تِ ولا تبغ فيها سواهَ بديلاً
وثقُ بجميلِ صنيعِ الإله فما عودَ الله إلا جميلاً
[جـ] وقول الآخر :

أحسنَ الظنِّ بمن تَعَوَّذَ كلَّ إحسانٍ وسوى أودَكَ
إنَّ ربًّا كان يكفيكَ الذي كان بالأمرِ سيكفيكَ غَدَكَ

[٥] الحُطَّة : الأمر أو الحالة . أُنبا : عُدنا ورجعنا .

ويقال : في الأمثال : « رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ » . والإِيَاب : الرجوع . وهو مثل في الخيبة . يضرب عند القناعة بالسلامة لمن سعى إلى شيء فلم ينله غير أنه لم يعط . أو لم يَشَقَّ في طلب الحاجة حتى يرضى بالخلاص .

[٥ / ب] الصنيع : كل ما صنع من خير ونحوه . والفعل الحسن .

[٥ / جـ] تعوَّذَ : جعلك تعتاد منه كل إحسان حتى صار الإحسان عادة له .

● من أحسن ما قيل

[٦] في الشاء على الله تعالى عند وصف الأشياء الحسنة

[١/٦] من أحسن ما قيل في النرجس قول أبى نواس :

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات بأحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

[٦/ أ] النرجس : نبت من الرياحين ، وهو من الفصيلة النرجسية ، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها ، وطيب رائحته ، وزهرته تشبه بها الأعين .

وأبو نواس : (الحسن بن هافى) (٧٥٧ — ٨١٤ م) ولد في الأهواز . من كبار شعراء العصر العباسى . تعلم في البصرة فأخذ عن خلف الأحمر ، وأبى عبيدة ، وأبى زيد الأنصارى ، وتلقن الحديث عن كثير من العلماء ، ودخل البادية ، وخالط الأعراب ، فاستقام لسانه على اللغة . انتقل من البصرة إلى بغداد فقربه الرشيد ، وجعله الأمين شاعره ، واتصل بالبرامكة . له ديوان . تاب إلى الله في آخر أيامه عن اللهو والشرب .

واللجين : (على صورة المصغر) : الفضة .

والأحداق : جمع حدقة : (وهى السواد المستدير وسط العين) .
والقضب : جمع قضيب . والزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد ، وأشهر ألوانه الأخضر المصرى . والأصفر القبرصى .

[ب] ومن أحسن ما قيل في استحسان الصورة قول ابن سكرة :

وشادن ما رأيت طَلَعَتْهُ الزَّرُّ هراءٌ إلا شككتُ في القمر
كَمْ قُلْتُ لما رأيتُ صورته تبارك الله خالقُ الصُّور!

[جـ] ومن أحسن ما قيل في آثار الربيع قول بعضهم :

أزباً برّبع للربيع وكُنْ له ضيفاً تكن نُدَماءُك الأنوارُ
من قانئ في ناضر في فاقع في ناصع صباغها الجبارُ

[٧] ومن أحسن ما قيل في الإلهيات :

[أ] قول محمود :

تُعْصِي الإلهَ وَأَنْتِ تُظْهِرُ حُبَّه هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَّاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمَتْهُ إِنْ أَحَبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعُ

[ب] وقول ابن الرومي :

[٦/ب] ابن سكرة : (... - ٩٩٥ م) هو محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي من ولد علي بن المهدي العباسي شاعر كبير من أهل بغداد ، له ديوان شعر يربو على خمسين ألف بيت . (راجع وفيات الأعيان ٥٢٦/١) و (تاريخ بغداد ٦٥/٥) .

والشادن : ولد الظبية . وتشبه به الحسنات .

[٦/جـ] أزباً برّبع للربيع : نَزَّهَهُ عما يشينه ويعيبه . والرّبع : الموضع يُنْزَل فيه زمن الربيع . والندماء : جمع نديم . والأنوار : جمع نُور . والقانئ : شديد الحمرة . والفاقع : شديد الصفرة . والناصع : شديد البياض ، وكلها صِبْغَةُ الله .

[٧/ب] ابن الرومي : (علي بن العباس) (٨٣٦ - ٨٩٦ م) شاعر بغداد . =

أَمِنْ ضَيْقٍ مَتَوَى الْمَرْءُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ إِلَى ضَيْقٍ مِثْوَاهُ مِنَ الْقَبْرِ يُسَلِّمُ
وَلَمْ يَلْقَ بَيْنَ الضَّيْقِ وَالضَّيْقِ فُسْحَةً إِلَى ذَاكَ إِنْ اللَّهَ بِالْعَبْدِ أَرْحَمُ

[جـ] وقول أبي فراس الحمداني :

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِهِ الْفَوَائِدُ
[د] وقول مؤلف الكتاب :

إِلَيْكَ الْمُشْتَكَى لَا مِنْكَ رَبِّي وَأَنْتَ لِنَائِبَاتِ الدَّهْرِ حَسْبِي
تُرَوِّى غُلَّتِي وَتُرِّمُ حَالِي وَتُؤْمِنُ رَوْعَتِي وَتُزِيلُ كَرْبِي !

= من أعظم شعراء الدولة العباسية ، بل من أعظم شعراء العربية . ولد في بغداد من أب رومى وأم فارسية . أثر تراثه اليونانى الفارسى في عبقريته ؛ فجاء بشعر غريب الأسلوب والفن عن أهل زمانه ، كان ضيق الأخلاق متشائماً متطيراً ، ملجأ في السؤال ، خبيث اللسان . فلم يقربه أحد إليه . تغنى بجمال الطبيعة . والمثوى : مكان الإقامة والمنزل . فهو ينتقل في دنياه من ضيق الرحم إلى ضيق القبر . وليس بينهما فسحة وسعة ، ولكن رحمة الله أوسع .

[٧/ جـ] أبو فراس الحمداني : (٩٩٢ - ٩٦٨ م) ولد في الموصل . شاعرٌ فارسى . ابن عم سيف الدولة صاحب حلب الذى قلّده في الموصل إمارة حلب . أسره البيزنطيون أربع سنوات . شاعر عاطفى وجدانى . له ديوان جمعه ابن خالويه .

والرزايا : المصائب . وصدق الله : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَحْبُوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦]

[٧/ د] الغلة : شدة العطش وحرارته ، وتُرِّمُ حالى : تصلحه بعد أن فسد بعضه . والروعة : الفرعة ، وفي حديث الدعاء « اللهم آمِنْ رَوْعَاتِي » .

الباب الثاني

في النبويّات

يشتمل هذا الباب على الفصول الآتية :

- [١] (فصل) في ذكر آدم — عليه السلام — وإبليس لعنه الله .
- [٢] (فصل) في ذكر نوح — عليه السلام — .
- [٣] (فصل) في ذكر إبراهيم — عليه السلام — .
- [٤] (فصل) في ذكر يعقوب ويوسف — عليهما السلام — .
- [٥] (فصل) في ذكر موسى — عليه السلام — .
- [٦] (فصل) في ذكر داود وسليمان — عليهما السلام — .
- [٧] (فصل) في ذكر عيسى — عليه السلام — .
- [٨] (فصل) في ذكر النبي المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام .

في النبويات

فصل

● في ذكر آدم عليه السلام — وإبليس — لعنه الله

[أ] أحسن ما قيل في ذكرهما :

يا ساهراً يَرْتَوِ بِعَيْنَيْ رَاقِدٍ وَمُشَاهِداً لِلأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ !
تَصُلُّ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتُرْتَجِي دَرْكَ الْجِنَانِ بِهَا وَفَوْزَ الْعَابِدِ !
أُنْسِيَتْ أَنْ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ؟
[ب] وقول أبي نُؤَاس :

عَجِبْتُ مِنْ إِبْلِيسَ فِي لَعْنَتِهِ وَحُبْتُ مَا أَظْهَرَ مِنْ نِيَّتِهِ
تَاهَ عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَتِهِ فَصَارَ قَوَّادًا لِدُرِّيَّتِهِ

[١/ أ] يرنو : يديم النظر في سكون طرف . والمراد أنه غافل لا يتدبر فيما صنع الله وصدق فيه وفي أمثاله قول الله تعالى :

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ .

[الأعراف : ١٧٩]

[١/ ب] تاه : تيهًا وتيهانًا : تكبر فهو تائه وتياه .
والقَوَّاد : الساعي بين الرجل والمرأة للفجور .

[جـ] وقول السَّريّ :

مَنْ ذَمَّ إبليسَ فِي قِيَادَتِهِ فَأَيُّ حَامِدٍ لِإِبْلِيسَ
كَلَّمَ لِي عَاصِيًّا فَكَانَ لَهُ أَطْوَعُ مِنْ آدَمَ لِإِبْلِيسَ
وَكَانَ فِي سُرْعَةِ الْمَجِيءِ بِهِ آصَفُ فِي حَمْلِ عَرْشِ بَلْقِيسَ



[١/ جـ] السَّريُّ الرَّفَاءُ : (ت ٩٧٦ م) : شاعر من أهل الموصل ، مدح سيف الدولة الحمداني ، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد فمدح الوزراء إلى أن تصدى له الخالديان ، فكانت بينهما مهاجاة . مات ببغداد . له ديوان .

وآصف : هو الذي يقال إنه المعنى بقوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ... ﴾ [النمل : ٤٠]

ويقول الثعالبي في لطائف المعارف : « وكان آصف بن برخيا يكتب لسليمان » .

● في ذكر نوح عليه السلام

[١ / أ] قال (الصُولى) في كتاب الوزراء :

كان أول ما ارتفع به أمرُ أحمدَ بنِ يوسف أن المخلوعَ لما قُتِلَ أمرَ طاهرَ ابن الحسين الكتابَ أن يكتبوا بذلك إلى المأمون فأطالوا ؛ فقال طاهر : أريد أحسنَ من هذا كله ، وأوجز ؛ فوصفَ له أحمدُ بنُ يوسفَ فأمر بإحضاره ، فحضر ، وكتب ما هو أحسن في معناه :

(أما بعد) فإن المخلوعَ وإن كان قسيمَ أميرِ المؤمنين في التَّسَبُّ واللَّحْمَةِ ؛ فقد فرق كتابُ اللهِ بينهما في الولاية والحُرمة ، فيما قَصَّ علينا من نبأ نوح وابنه ، حيث قال تعالى : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غيرُ صالح ﴾ [هود : ٤٦]

ولا صلَّة لأحدٍ في معصية الله ، ولا قطيعةَ ما كانت في ذات الله . وكتب إلى أمير المؤمنين : وقد قتلَ اللهُ المخلوعَ ورَدَّاه رداء النكبة ، ووجهتُ إلى أمير المؤمنين الدنيا والآخرة :

أما الدنيا فرأس المخلوع ، وأما الآخرة فالبرْدَةُ والقَضِيبُ ، فالحمد لله الآخذ له من خان عهده ، ونكثَ على عَقْدِهِ ، حتى رَدَّ لأمر المؤمنين الألفَةَ ، وأقام به الشريعة ؛ فرضى ذلك وأنفذه فوصل أحمد بن يوسف وعلا قدره حتى استوزره المأمون .

[١ / أ] الصُولى : (أبو بكر محمد) (ت ٩٤٦ م) : أديب وشاعر ، تعلم العربية على أئمة اللغة ، نادم الراضى ، والمكتفى ، والقادر ، توفى في البصرة له «الأوراق» في أخبار آل عباس وأشعارهم ، «أدب الكتاب» و «أخبار أبى تمام» وعدة دواوين .

[١ / ب] قال مؤلف الكتاب وقد قال الأول :

كانت مودة سلمان لنا نسباً ولم يكن بين نوح وابنه نسبٌ

فصل

● في ذكر إبراهيم عليه السلام

أحسن ما سمعت في عيادة الرؤساء من وجع القدم :

[١] قول بعضهم :

كَيْفَ نَالَ الْعُبَارُ مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْهُ مَقِيلٌ فِي كُلِّ خُطْبٍ جَسِيمٍ !؟

= والمخلوع : هو الأمين ، وقتله طاهر بن الحسين لست بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وكانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وكسراً ، وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة (تاريخ أئى الفدا) وأحمد بن يوسف : كاتب دولة بنى العباس ، ويقال : إن أصل آبائه من قبط مصر ، وكانوا كتاباً لبنى العباس . واللحمة : القرابة . يقال : بينهما لحمة نسب . رداه : ألبسه .

البردة والقضيب : كان قد بعث بهما صالح إلى أخيه الأمين بعد وفاة أبيه الرشيد . استوزره المأمون : اتخذهُ وزيراً له .

[١ / ب] فقد قيل في سلمان وهو الفارسي : « سلمان منا أهل البيت »

[رواه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف ، وسنده ضعيف]

وقيل في ابن نوح : ﴿ إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾

[هود : ٤٦]

ومما يناسب إيرادهُ في هذا المقام :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ دِينِهِ فَلَا تُشْرِكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ
فقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ وقد وضعَ الشُّركَ الحسيبَ أبا هب

[١] فصل في ذكر إبراهيم عليه السلام :

مُقِيلٌ : يقلل العثرات ، ويأخذ بأيدي من تعثروا أو نزلت بهم الخطوب فهو =

أَوْ تَرَقَّى الْأَذَى إِلَى قَدَمٍ لَمْ يَحْطُ إِلَّا إِلَى مَقَامٍ كَرِيمٍ
كَمَقَامِ النَّبِيِّ أَحْمَدَ أَوْ مَثَلِ مَقَامِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ

فصل

● في ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام

[١] أحسن ما سمعته في براءة الساحة قول أئى طالب :

وَعُصْبَةُ بَاتَ فِيهَا الْغَيْظُ مَتَّقِدًا إِذْ شِدَّتْ لِي فَوْقَ أَغْنَاقِ الْعِدَارُتُبَا
فَكُنْتُ يَوْسُفَ وَالْأَسْبَاطُ هُمْ وَأَبُو الْأَسْبَاطِ أَنْتَ وَدَعَوَاهُمْ دَمًا كَذِبًا

== يعينهم على الأيام ، ويسعى إليهم فى النكبات .

[١] فصل فى ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام :

أبو طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف (ت ٦٢٠ م) عم النبى ﷺ
والد على — رضى الله عنه — كفل ابن أخيه محمداً ﷺ بعد وفاة جده
عبد المطلب ، ورعاه ، وقام على تنشئته .

والعُصبة : الجماعة من الناس أو الخيل ، أو الطير ، وفى التنزيل العزيز :
﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾

[القصص : ٧٦]

الأسباط : جمع سبط ولد الابن والابنة ، والسبط من اليهود : كالقبيلة من
العرب ، وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾

[الأعراف : ١٦٠]

وفيه : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾

[البقرة : ١٦٠]

دَمًا كَذِبًا : أى ادعاء باطلاً .

[٢] ومن أحسن ما سمعت في حسن عاقبة المحبوس : قول البحرى :

أما في رسول الله يوسف أسوةً لمثلك محبوساً على الضيم والإفك ؟ !
أقام جميل الصبر في السجن مدةً فأض به الصبر الجميل إلى المُلْك !

فصل

● في ذكر موسى عليه السلام

[١] لم أسمع أحسن — على القبح — من قول العلوى في هجائه لابن رستم وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل :

جئت فرداً بلا أب ويمننا لك بياض فأنت عيسى وموسى
[٢] من أحسن ما قيل قول أبى نُوَاس :

أيا من ليس يكفيها خليلٌ ولا ألقا خليلٍ كلَّ عام
لأنّ بقيّة من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام !

[٢] في ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام (قول البحرى) :

الضم : الظلم أو الإذلال ونحوهما . والإفك : الكذب والافتراء .
أض : صابر وعاد به .

[١] في ذكر موسى عليه السلام : والعلوى هو ابن طباطبا العلوى : شاعر عالم ولد بأصبهان ، وبها مات سنة ٣٢٢ هـ (معجم الأدباء) (١٧ : ١٤٣ — ١٥٦) .

وفردا بلا أب : يقصد عيسى عليه السلام . ويمناك بياض : يقصد موسى عليه السلام — إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ فإذا هى بياض للناظرين ﴾ [الأعراف : ١٠٨]

[٢] بيتا أبى نُوَاس : تضمننا إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ﴾ [البقرة : ٦١]

● في ذكر داود وسليمان عليهما السلام

[١] من أحسن ما قيل في الاستعطاف قول الشاعر :
 أَلَا نَ لِداوُدَ الحَديدَ بِقُدْرَةِ إلهِهِ عَلَى تَلْيِينِ قَلْبِكَ قَادِرُ
 [٢] ومن أحسن ما قيل في رفع الأعداء رؤوسهم عند موت من
 كان يَقمَعُهُم :

قول أبي القاسم بن العَلَا في مَرثِيَةِ الصاحب :
 قام السَّعَاةُ وكان الخوفُ أَقْعَدَهُمُ
 واستيقظوا بعد أن نام المَلاعِينُ
 لا يَعْجَبُ النَّاسُ مِنْهُمْ إِنْ هُمُ انتَشَرُوا
 مضى سليمانُ فأنحلَّ الشياطينُ

[٢] في ذكر داود وسليمان — عليهما السلام — يقمعهم : يقهرهم ويمنعهم
 عما يريدون . والصاحب : هو الصاحب بن عباد كافي الكفاة وزير آل بويه .
 والسعاة : جمع ساع والمراد من يسعون في الشر . وكانوا مقموعين في حياة
 الصاحب . وقوله فأنحل الشياطين إشارة إلى الآية الكريمة في شأن سليمان
 وعصاه : ﴿ فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
 العذاب المهين ﴾ [سبأ : ١٤]

● في ذكر عيسى عليه السلام

[١] من أحسن ما قيل في قصد مقصوده ، وترك خير منه :
قول الطبرى :

وما كنتُ في تَرْكِكَ إِلَّا كتاركِ طَهُورًا وراضٍ بعده بالتَّيْمِمْ
وذى عِلَّةٍ يَأْتِي عَلِيًّا لِيَشْفِي بِهِ وهو جَارٌ للمسيحِ بنِ مَرِيَمَ

[٢] ومن أحسن ما قيل في الحركة والطلب قول بعضهم :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي طَلَبِ الْعَلَا وَدَعْ عَنْكَ قَوْلَ النَّاسِ فِي تَرْكِكَ الطَّلَبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ وَهَزَى إِلَيْكَ الْجَزْعَ يَسَاقُطُ الرُّطْبُ
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تُجْنِيَهُ مِنْ غَيْرِ هَزَّهَا جَنَّتَهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبُ

[٣] من أحسن ما قيل في هجو الدعى قول صاحب :

رَأَيْتُ لِبَعْضِ النَّاسِ فَضْلًا إِذَا انْتَمَى يُقَصِّرُ عَنْهُ فَضْلُ عِيسَى بْنِ مَرِيَمَ
عَزَّوْهُ إِلَى تِسْعٍ وَتَسْعِينَ وَالِدٍ وَلَيْسَ لِعِيسَى وَالِدٌ حِينَ يَنْتَمِي !

[٢] في ذكر عيسى — عليه السلام — إشارة إلى الآية الكريمة التي خاطب الله فيها مريم — عليها السلام — بقوله : ﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ الْجَزْعَ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم : ٢٥] عندما أوجاءها المخاض إلى جذع النخلة .

[٣] صاحب بن عباد : هو كافي الكفاة ، أبو القاسم إسماعيل صاحب بن عباد وزير آل بويه وكتابه ، وأحد أعلام البلغاء والكتاب من حلبة ابن العميد في كتابه « الشعر المنثور » توفي سنة ٣٨٥ هـ . وعدم وجود أب لعيسى لا ينقص من قدره ، فهو كلمة الله ، ولهذا كان غاية في الفضل .

● في ذكر النبي المصطفى محمد ﷺ

[١] أحسن ما قيل في ارتفاع الأب بابنه قول ابن الرومي :
وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرَى شَرَفٍ كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ !



== والدَّعَى : هو المتهم في نسبه . وقوله : عزوه إلى تسع وتسعين والد .. الخ .
أى إلى الله سبحانه وتعالى ، والله الأسماء الحسنی التي ندعوه بها ، فقد قالوا :
« المسيح ابن الله » .

[١] في ذكر النبي محمد ﷺ :

الذُّرَى : جمع ذُرْوَةٍ وذُرْوَةٍ كل شيء : أعلاه . ويقال : هو في ذُرْوَةِ
النسب ، وعلا ذُرْوَةِ الشرف . وعدنان : من أبناء إسماعيل بن إبراهيم
— عليهما السلام — جد القبائل العربية المقيمة في شمالي بلاد العرب ووسطها
وغربها (تهامة ونجد والحجاز) منهم كان بنو معد ، ومن معد مضر ، وربعة
ولإياد وأنمار .



الباب الثالث

في الملوكيّات

- من أحسن ما قيل في أمثال الملوك .
- من أحسن ما قيل في الانزعاج من غضب الملوك .
- من أحسن الأشعار الملوكية .

في الملوكيات

[١/ أ] من أحسن ما قيل في أمثال الملوك قول :

[أ] قول ابن نباتة : لَصْمَصَام الدولة في ملك من ملوك آل بُؤيه :

أَحْسَدُ قوما عليك قد غَلَبُوا وكلّ من بادر السّرى غَلَبَا
وكنْتَ كالكَرْم من تُكْرَمه تلتفُّ أوراقه بما قَرَبَا

[ب] ومن أحسن ذلك قول إبراهيم بن العباس :

مَثَلُ أصحاب السلطان كَقَوْمٍ رَقُوا جَبَلًا ، ثم وقعوا منه فكان
أبعدُهم في الرُّقَى أَقربُهم من التلف .

[١/ أ] ابن نباتة السعدي : هو أبو نصر عبد العزيز محمد بن نباتة السعدي التميمي أحد فحول الشعراء توفي ٤٠٥ هـ ببغداد . وكانت إمارة صمصام الدولة ببغداد ثلاث سنين وهو ابن عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه . فبعد وفاة عضد الدولة اجتمع القواد والأمراء على ولده كالحجار المرزبان فبايعوه ، وولوه الإمارة ، ولقبوه صمصام الدولة ، وكان أخوه شرف الدولة شيرزيك بن عضد الدولة بكرمان فلما بلغه موت أبيه سار إلى فارس وملكها ، وقطع خطبة أخيه صمصام الدولة .

وهكذا كانت الدولة البويهية لها سلطانها في العراق وفارس وخراسان .
[١/ ب] إبراهيم بن العباس الصولي شاعر مجيد ، وهو عم أبي بكر الصولي وقد توفي بسر من رأى سنة ٢٤٣ هـ .

[جـ] وقال مؤلف الكتاب :

ينبغي أن يكون الملك كالقيث يحيى إذا همى ، والسييل يُردى إذا
طمى ، والبدر يهدى إذا سما ، والدهر يُصمى إذا رمى !

[٢] ومن أحسن ما قيل في الانزعاج من غضب الملوك قول النابغة :

تُبْتُ أن أبا قابوسَ أو عَدَنى ولا قرارَ على زارٍ من الأسدِ
[٣] ومن أحسن الأشعار الملوكية :

[أ] قول سلم بن عمرو في الرشيد :

مَلِكٌ كأن الشمسَ فوقَ جَينِهِ مُتَهَلِّلُ الإِمَسَاءِ والإِصْبَاحِ
فإذا حَلَّتْ بِبابِهِ وفَنائِهِ فانزل بسَعْدٍ وارْتَحِلْ بِنَجَاحِ

[٢] النابغة الذبياني (ت نحو ٦٠٤ م) من فحول شعراء الجاهلية ، وكان ذا عقل راجح وقوة خيال ، وشاعرية رقيقة ، أقام في بلاط ملوك الحيرة ولاسيما النعمان أبو قابوس فأسخطه ولجأ إلى ملوك غسان فمدحهم ، ثم عاد إلى الحيرة واعتذر فصالحه صاحبها . من أشهر شعره : « الفسائيات » و « الاعتذاريات » .

و « لا قرار... إلخ » وكيف يستقر ويهدأ من يسمع زئير الأسد ؟

[٣/أ] هو سلم بن عمرو بن حماد : شاعر خليع ماجن من أهل البصرة من الموالي . سكن بغداد . له مدائح في المهدي والرشيد ، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية ، وشعره رفيق رصين . قيل سمى الخاسر ، لأنه باع مصحفاً واشترى بثمانه طنبراً .

[ب] وقول مُسْلِم بن الوليد في الرشيد أيضاً :

بأبي وأمي أنت ما أندى يداً وأبرّ ميثاقاً وما أзкаكا !
يغدو غدوك خائفاً فإذا رأى أن قد قدرت على العقاب رجاًكا !



[٣/ ب] هو مسلم بن الوليد الأنصاري صريع الغواني : نشأ في الكوفة ، وفيها درس وتأدب ، وعالج الشعر منذ صباه ، يمدح به الأمراء ، ويثرى من ذلك ، ولكنه كان سخياً متلاًفاً ، وكان مسلم من أكبر شعراء عصره ، ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين : القديم والحديث مع رقة واضحة . وقد مات بمرجان سنة ٢٠٨ هـ .

بأبي وأمي أنت : أفديك . ما أندى يدا ! إلخ . تعجب من نداءه وكرمه ، وبره بعهدته ، وطهارته !

الباب الرابع

في الإخوانيات

- من أحسن ما قيل في مخالطة الإخوان • ما قيل في العيد عند مفارقة الإخوان
- في قبول عذر الإخوان • في تشوق الإخوان
- في مدح الإخوان • في شكاية الإخوان
- في عتاب الملوك • في وجوب العتاب
- في العتاب على الحجاب • في الحجاب وذم البواب
- في العتاب • في ترك العتاب
- في ذم الإخوان والاستكثار منهم • في الشوق والفراق
- في افتراق الشمل • في اتصال الندى
- في الاستزارة • في إقلاق الزيارة
- في إعلان الزيارة • في خفة الزيارة
- في زيارة المحب • في ترك الزيارة مع المودة
- في منع المطر الزيارة • في اتصال الندى
- في الاستزارة • في إقلاق الزيارة

في الإخوانيات

[١] من أحسن أبي تمام قوله :

[أ] في مخالطة الإخوان :

ذو الودّ مني وذو القربى بمنزلة وإخوتي أسوة عندي فإخواني
عصابة جاورت آدابهم أدبي فهم وإن فرّقوا في الأرض جيران
أرواحنا في مكان واحد وغدت أبداننا — بشام أو خراسان

[ب] وأحسن منه قول عبد الله بن طاهر :

أميل مع الذمام — على رغمي — وأقضي للصديق على الشقيق
وإن ألفتني ملكاً مطاعاً فإنك واجدى عبد الصديق

[١] أبو تمام : (حبيب بن أوس الطائي) (٧٨٨ — ٨٤٥ م) ولد في جاسم (سورية) شاعر عباسي تنقل في بلاد الشام والعراق ومصر وتوفي في الموصل . مدح الخلفاء ولاسيما المعتصم ، واتصل بكثير من الأمراء ، حفظ من قصائد الشعراء كثيرا ، ودرس الحكمة اليونانية . امتاز بخياله الواسع . له « ديوان » و « الفحول » وهو مختارات قصائد شعراء الجاهلية و « الحماسة » ضمنها درر الشعر العربي حتى عصره .

والأسوة : القدوة ، وما يتعزى به ، والمثل . والعصابة : الجماعة .

[ب] عبد الله بن طاهر : (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) من أبناء طاهر بن الحسين ، ومن أشهر الولاة في عهد المأمون العباسي . قضى على نصر بن شبث =

[٢] ومن أحسن ما قيل في قبول عذر الإخوان قول ابن نباتة :

وكنْتُ إذا ما حاجةٌ حال دُونِها نهارٌ وليلٌ ليس يَغْتَذِرَانِ
تَحَمَّلْتُ في حُكْمِ الْقَضَاءِ مَلَامَها ولم أُلْزِمِ الإخوانَ ذَنْبَ زَمَانِي

[٣] ومن أحسن ما قيل في مدح الإخوان :

[أ] قول زياد الأعجم :

أُخِّ لِي ما أَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا عَلَى الْعِلَّاتِ بَسَامًا جَوَادًا
سَأَلْنَاهُ الْجَزِيلَ فَمَا تَلَكَّى وَأَعْطَى فَوْقَ مُنَيَّتِيَا وَزَادَا
وَأَحْسَنَ ثُمَّ أَحْسَنَ ثُمَّ عُدْنَا فَأَحْسَنَ ثُمَّ عَاوَدْنَا فَعَادَا
مَرَارًا ما أَعُودُ إِلَيْهِ إِلَّا تَبَسُّمَ ضَاحِكَا وَثْنِي الْيُوسَادَا

= صاحب حلب المناصر للأمين وهزمه (٨٢٥ م) . أقر الأمن في مصر . وخلف
أخاه طلحة في حكم خراسان سنة (٨٢٨ م) .

والذِّمَام : العهد ، وألفيتني : وجدتنى .

[٢] إنه يقبل عذر من حالت الأيام بينه وبين تحقيق حاجته ولا يلزمهم ذنب
زمانه ملتمساً لهم العذر !

[٣] زياد الأعجم : (ت ٧١٨ م) شاعر أموى فارسى الأصل ، اشترك في
فتح اصطخر . كان ينظم الألفاظ الفارسية في الشعر العربى . توفى في
خراسان .

وعلى العِلَّات : على كل حال .. ومنه قول زهير في هرم ابن سنان :
« من يلقى يوماً على عِلَّاتِهِ هَرَمًا » .

فهو في جميع أحواله بسام جواد . وتلكا وتلكاً بمعنى .

والمُنْيَةُ : ما يتمناه الإنسان ويطلبه ويتطلع إلى نواله . وقوله : فثنى =

[ب] وقول منصور الفقيه :

أُخْ لِي عِنْدَهُ أَدَبٌ مودّةٌ مثله نَسَبُ
رَعَى لِي فَوْقَ مَا يَرَعَى وَأَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ
فَلَوْ سَبَكَتْ خِلَائِقُهُ لَبُهِرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

[ج] وقول أبي الفتح البستي في المؤلف لهذا الكتاب :

بِنَفْسِي أَخْ نَفْسُهُ أَمَّةٌ وَتَدْبِيرُهُ فِي الْوَعَى قَيْلُ
أُخْ بَابُ إِحْسَانِهِ مُطْلَقُ وَبَابُ إِسَاءَتِهِ مُغْلَقُ
كَرِيمُ السَّجَايَا فَلَا رَأْيَهُ بِهِمْ وَلَا خُلُقُهُ أَبْلَقُ
مَحَمَّدُ أَنْتَ قُوَى نَاطِرِي فَكَيْفَ إِذَا غَبَتْ لَا أَقْلَقُ
رَهْنُكَ قَلْبِي وَحُكْمُ الْقُلُوبِ بَ إِذَا رُهْنَتْ أَنَّهَا تُغْلَقُ

= الوسادا : جاء في أساس البلاغة : ثنى وسادته فجلس عليها . أو أجلس غيره عليها تكريماً له .

[٣/ ب] أبو الحسن منصور بن إسماعيل التيمي الشاعر المصري ، كان يتفقه على مذهب الإمام الشافعي وهو عالٍ المقطعات . قال عنه ياقوت : كان أديباً شاعراً مجيداً متفنناً له حظ من كل علم ولم يكن في زمانه مثله في « الفسطاط » . وذكر القرطبي أن منصوراً خرج إلى العراق ومدح الخليفة المعتز . وكان يترفع عن مصانعة الحكام ويرى في ذلك إذلالاً لنفسه لا يرضاه . بهرج الذهب : أصبح زائفاً بالنسبة لها .

[٣/ ج] بنفسى : أفديه بنفسى . والوعى : الحرب . والفيلق : الكتيبة العظيمة . والكلام البهيم والرأى البهيم : الذى لا يُعرف له وجه . والخلق الأبلق : المتلون بين سواد وبياض . أنها تغلق . أى يستحقها المرتهن إذا لم يفتكها الراهن في الوقت المطلوب . ويجوز أن يراد أنها لا تفتح لغير من رهنت له . ويكون في البيت تورية جميلة .

[٤] ومن أحسن ما قيل في شكاية الإخوان :

[أ] قول بعضهم :

من رأى في الأنام مثل أخ لي كان عوفى على الزمان وخلى
رفعتُه حال فحاول خطي وأبى أن يعز إلا بذلي ؟

[ب] وقوله أيضاً :

وكنْتُ أخى إحماء الزما ن فلما بنا صرت حرباً عوانا !
وكنْتُ أذم إليك الزما ن فاصبحتُ فيك أذم الزمانا !
وكنْتُ أعِدُّك للنائبَا ت فيها أنت أطلبُ منك الأمانا !

[٥] ومن أحسن ما قيل في عتاب الملول قول الشاشي :

إذا أنا عاتبت الملول فإنما أخطُ بأقلامي على الماء أخرفاً
وهبهُ ازعوى بعد العتاب ألم يكن تؤدُّه طبعاً فصار تكلفاً ؟

[٤ / أ] هذا وأمثاله ممن يرتفعون على أكتاف الآخرين ، ويتخلون عن أصدقائهم عندما تسعدهم الأيام .

[٤ / ب] نبا : تجافى وتباعد . والقوان من الحرب : التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرة . ويريد أنه آخاه عندما أقبل عليه الزمان فلما أدبر عنه انقلب ذاك الصديق عدواً وحرباً عواناً عليه فياله من منقلب !!

[٥] أخط على الماء أخرفاً : يريد أنه لا جدوى من عتاب الملول والملل : السأم ، والرجل ملول : كثير الملل لا يبقى على مودة .

وارعوى : كف وارتدع . وتكلف الشيء : حمله على نفسه وليس من عادته . والشاشي أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد العامري الشاشي كان يمدح فخر الدولة . وهناك أيضاً ابن مطران الشاشي ، وهو أبو محمد المطراني الحسن بن على بن مطران شاعر الشاش ، كان يتصرف في أعمال البرد (انظر يثمة الدهر

[٦] ومن أحسن ما قيل في وجوب العتاب قول ابن الرومي :

يا أخى أين عهدُ ذاك الإخاء ؟ أين ما كان بيننا من صفاء ؟
أنت عيى وليس من حق عيى غضُّ أجفانها على الأقداء

[٧] ومن أحسن ما قيل في العتاب على الحجاب قول ابن أبى عيىنة :

إني أتيتك للسلام ولم أنقل إليك لغيره رَحلى !
فُحِجْتُ دونك مرتين وقد تَشَدَّ واحدة على مثلى !

[٨] ومما يستظرف في معنى الحجاب وذم البواب قول بعضهم :

ولقد رأيتُ بابَ دارِكَ جَفوةً فيها لِحْسنِ صَنِيعِكُمْ تَكْديرُ
ما بالُ دارِكَ حينَ تدخلُ جنةً وبِبابِ دارِكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ ؟

[٩] وأحسن ما قيل في العتاب :

يا ذا الذى جَعَلَ القَطِيعَةَ دأبه إن القطِيعَةَ موطىءٌ للرَّيبِ

[٦] كان ابن الرومي صديقاً لأبى القاسم التّوزى ثم حدثت بينهما جفوة لحاجة للشاعر لم يحقق أمله في قضائها ، فاهتزت لها نفسه ، فأنشأ قصيدة طويلة يعاتب فيها أبا القاسم .

والأقداء : جمع قَدَى . ما يسقط في العين والشراب .

[٨] قائل هذين البيتين كما جاء في ديوان المعاني لأبى هلال هو جحظة . والمراد بالحجاب هنا : المنع من الدخول على الحكام والأمراء إلا بإذن ، ومن يقوم بهذه المهمة يسمى الحاجب أو البواب بلغتنا (وهى صفة غالبية) .

منكر ونكير : المَلَكُان اللذان يسألان الميت بعد دفنه . والمراد بهما الحاجب والبواب . وقبل هذين البيتين بيت ثالث هو :

الله يعلم أننى لك شاكر والحر للفعل الجميل شكور

[٩] دأبه : عادته . الموطىء : موضع القدم . والريب : الشك والمراد : أن =

إِنْ كَانَ وَدُّكَ فِي الطُّورِ كَامِنًا فَاطْلُبْ صَدِيقًا عَالِمًا بِالْغَيْبِ

[١٠] أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي تَرْكِ الْعِتَابِ :

أَقْلَلَ عِتَابَ مَنْ اسْتَرَبَّتْ بُودَهُ لَيْسَتْ تُنَالُ مَوْدَةَ بَقِيَالِ !

[١١] أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذَمِّ الْإِخْوَانِ ، وَذَمِّ الْاسْتِكْثَارِ مِنْهُمْ :

[أ] قَوْلُ الْعَطُوفِ :

لَمْ أَجِدْ كَثْرَةَ الْأَخِلَاءِ إِلَّا تَعَبَ النَّفْسِ فِي قَضَاءِ الْحَقُوقِ

فَاصْرِفِ الْوَدَّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ سِوَمَا كُلِّ مَا تَرَى بِصَدِيقٍ !

[ب] وَقَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تُسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

== القطيعة تقودنا إلى الشك في أمر ودك . ولنا الظاهر والله يحكم بالسرائر ،
وظاهره يقول : لا محبة .. لا مودة .. فإن كنت تطوى في نفسك ذلك الحب
المزعوم ، وتلك المودة المفقودة فاطلب لك صديقاً يعلم ماتكنه السرائر وما
تخفيه في طويتك .. ولا يعلم الغيب إلا الله !

[١٠] استراب به : رأى منه ما يريه ويجعله يشك في أمر مودته .

والعتاب : اللوم . ويقال : عاتبه : لومه وخاطبه مخاطبة الإدلال طالباً
حسن مراجعته ، ومذكراً إياه بما كرهه منه . وفي العتاب أخذ ورد وربما جرَّ
إلى القتال كما يرى شاعرنا هنا .

[١١/أ] ولكل هؤلاء الأصدقاء واجبات والتزامات ، والواجبات أكثر من
الأوقات .

[١١/ب] وفي ذلك تقول الحكمة الغربية : « اللهم احنني من أصدقائي ، أما
أعدائي فإني أعرف كيف أواجههم » .. ويقول شاعر عربي :

[جـ] ومن أظرف ما قيل في هذا الفصل قول بعضهم :

أَلَا إِنَّ إِخْوَانِي الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ أَفَاعَى رِمَالٍ لَا تُقَصِّرُ فِي السَّعْيِ
ظَنَنْتُ بِهِمْ خَيْرًا فَلَمَّا بَلَّوْهُمْ حَلَلْتُ بَوَادٍ مِنْهُمْ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

[١٢] ومن أحسن ما قيل في الشوق والفراق :

[أ] قول ابن أبي عيينة :

جِسْمِي مَعِيَ غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ فَالرُّوحُ فِي غُرْبَةِ الْجِسْمِ فِي الْوَطَنِ
يَسْتَعْجِبُ النَّاسُ مَتَى أَنْ لِي بَدَنًا لَا رُوحَ فِيهِ وَلَا رُوحَ بِلَا بَدَنٍ

[ب] وقول كُشَّاجِم :

قَلْتُ، وَقَالُوا: بَانَ إِخْوَانُهُ فَأَبْدَلُوهُ الْبُعْدَ بِالْقُرْبِ
وَاللَّهُ مَا شَطَطَتْ نَوَى صَاحِبٍ سَارَ مِنَ الْعَيْنِ إِلَى الْقَلْبِ

== احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فيق فكان أعلم بالمضرة

[١١/ جـ] «بوادٍ غير ذي زرع» : اقتباس من الآية الكريمة : ﴿ربنا إلى أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع﴾ [إبراهيم : ٣٧]

والأفاعى : جمع أفعى وهى من شرار الحيات ، وأفعى فلان : صار ذا شر بعد خير . والسعى القصد ، ويقال : سعى بفلان سعاية : وشى ونم . وبلوتهم : اختبرتهم ، وجربت صداقتهم في كثير من المواقف التى تظهر الأصدقاء وتكشف عن الأعداء .

[١٢/ ب] كُشَّاجِم : (محمود بن حُسين) (ت ٩٧٠ م) شاعر أديب من كتاب الإنشاء ، من أهل الرملة بفلسطين ، فارسى الأصل ، ويعرف بالسندى ، رحل إلى بلاد كثيرة واستقر بحلب ، فكان من شعراء الحمدانيين ، من مؤلفاته «ديوان شعر» و «أدب النديم» و «المصايد والمطارد» و «الرسائل»

[١٣/ أ] ومن أحاسن أبي تمام قوله في افتراق الشمل :

بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى تُرضى بما صنعت حتى تُشافه بي أقصى حراسان
[ب] وما لا يزيد على حسنه قول بعض المولدين :

خطرات ذكرك تستين مودتي فأحس منها في الفؤاد ديباً
لا عُصو لي إلا وفيه صباية فكان أعضاءي خلقت قلوباً

== قالوا : بأن إخوانه بيتاً : بعدوا عنه ، وتركوه وحيداً يعاني البين والفرقة !
ما شطت : ما بعدت : والنوى : التحول من مكان إلى آخر .. فليس
بعيداً من تحول من العين إلى القلب .. هو بعيد لكنه قريب .. وليس صحيحاً
ما يقولون : البعيد عن العين بعيد عن القلب ! .

[١٣/ أ] الرقمتان : روضتان بناحية الصَّمان كما جاء في لسان العرب ، وإياهما
عنى زهير بقوله : ودار لها بالرقمتين .. إلخ .. والرقمة الروضة ، والرقمتان :
روضتان ، إحدهما قريب من البصرة ، والأخرى بنجد . والفسطاط بمصر
القديمة حيث نزل عمرو بن العاص وأقام فسطاطه وخيمته .
والنوى : البعد . وشافه البلد : اقترب منه .

وقد قالها أبو تمام في مدح محمد بن حسان الضبي ، ولفظ البيت الأول :
بالشام أهلى .. وبغداد : لغة في بغداد .

[١٣/ ب] المولدين : المولد : المحدث من كل شيء ، ومنه المولدون من
الشعراء . سُموا بذلك لحدوثهم .

تستين مودتي : يقال استبان الشيء : استوضحه ، وعرفه .
وصباية : رقة واشتياق .

[١٤] ومن أحسن ما قيل في العيد عند مفارقة الإخوان قول أبي
الفرج الشامي :

من سرّهُ العيدُ فلا سرّني بل زاد في شوقي وأحزاني
لأنّه ذكّرني ما مضى من عهد أجلي وإخواني !

[١٥] وما يُستظرف في تشوّق الإخوان :

[أ] قول ابن طباطبا العلوي :

نَفْسِي الفداء لِفَائِبٍ عن ناظِرِي وَمَحَلَّهُ في القَلْبِ دونَ حِجابِهِ
لولا تَمَتُّعُ ناظِرِي بِلِقائِهِ لَوَهَّبْتُهُ لِمَبْشَرِي بِإِيابِهِ

[ب] وكتب أبو الفتح البستي لمؤلف الكتاب :

إذا نَسِيَ الناسُ أهلَ الودِ دِ وَخانَ المودّةَ حَوَائِها
فِعِنْدِي لِإِخوانِي الغائِبِ مِينَ صحائفِ ذِكرِكَ عُنوانِها

[١٦] ومن أحسن الإخوانيّات قوله :

بِأَبِي إِخْوَةَ تَرَحَّلْتُ عَنْهُمْ فَتَرَحَّلْتُ عن سُروري وأُنسِي
فأَرَقُونِي فأَرَقُونِي وأَذْكُوا شُعْلَةَ الوَجْدِ في خواطِرِ نَفْسِي

[١٥ / أ] ابن طباطبا : (.. — ٣٢٢ هـ = ... ٩٣٤ م) محمد بن أحمد بن
إبراهيم طباطبا ، الحسني العلوي ، أبو الحسن : شاعر مُفَلِّق ، وعالم بالأدب ،
مولده ووفاته بأصبهان . له كتب منها : « عيار الشعر » و « تهذيب الطبع »
و « العروض » قيل : لم يسبق إلى مثله ، وأكثر شعره في الغزل والآداب .

[١٧] ومن أحسن ما قيل في الزيارة والاستزارة قول العباس بن الأحنف :

نُزُورُكُمْ لَا نُكَافِيكُمْ بِجَفَوَاتِكُمْ إِنْ الْحَبَّ إِذَا لَمْ يُسْتَزَرَ زَارَا
يَقْرَبُ الشُّوقُ دَارًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مِنْ عَالَجِ الشُّوقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا
[١٨] من أحسن ما قيل في إعلان الزيارة :

[أ] قول ابن المعتز :

لَيْتَ شِعْرِي أَفَى الْمَنَامِ أَرَاهُ قَمْرًا زَارَنِي عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ
صَارَ تُرْبُ الطَّرِيقِ مَسْكًَا وَكَافُو رَا حَصَاهَا وَمَاؤُهَا مَاءٌ وَرَدٍ
[ب] ومن أحسن ما قيل فيه أيضًا :

خَلِيلِي هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا بِأَكْرَمِ مَنْ مَوْلَى تَمْشَى إِلَى عَبْدٍ؟!
أَتَى زَائِرًا مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَقَالَ لِي : أَصَوْتُكَ مِنْ تَعْلِيقِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ
[١٩] ومن أحسن ما قيل في خفة الزيارة قول كشاجم :

بَأْنِي وَأُمِّي زَائِرٌ مُتَقَنَّعٌ لَمْ يُخْفِ ضَوْءَ الْبَدْرِ تَحْتَ قِنَاعِهِ
لَمْ أَسْتِمْ عِنَاقَهُ لِقُدُومِهِ حَتَّى ابْتَدَأْتُ عِنَاقَهُ لَوَدَاعِهِ
[٢٠] ومن أحسن ما سمعت في زيارة الحب قول بعضهم :

أَرَى الرَّجُلَ قَدْ تَسَعَى إِلَى مَنْ تُحِبُّهُ وَمَا الرَّجُلُ إِلَّا حَيْثُ يَسْعَى بِهَا الْقَلْبُ

[١٧] الاستزارة : طلب الزيارة ، (فالهمزة والسين والتاء للطلب) — أي هي دعوة للزيارة .

والعباس بن الأحنف : هو أبو الفضل (ت ٨٠٧) : شاعر نشأ في بغداد . له مع الرشيد أخبار . شعره في الغزل فيه عذوبة . له ديوان .

[٢١] وأحسن ما قيل في إقلال الزيارة :

عليك بإقلال الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت القطر يسأم دائما ويسأل بالأیدی إذا هو أمسكا

[٢٢] وفي ترك الزيارة مع المودة قول بعضهم :

إن التباعد لا يضُرّ إذا تقاربت القلوب

[٢٣] ومن أحسن ما قيل في منع المطر الزيارة :

[أ] قول أبي حفص :

حكّت السماء ندى يدي — ك فلم أطق سعيًا إليك
وحكيتها سيدي بالدمع من أسفى عليك

[ب] وقول أبي العسقلاني :

حال يئني وبين بابك حالا — ن وحول وقرب عهد عهد
فكان الوحول ليل محب — وكان السماء كف جواد

[٢٤] وفي اتصال الندي : قول الحسن بن وهب :

يوجب العذر في تراخي اللقاء — ما توألى من هذه الأنداء
فسلام الإله أهديه مني — كل يوم لسيد الوزراء
لست أدري ماذا أذم وأشكو — من سماء تعوقني عن سماء
غير أنني أدعو على تلك بالصخر — وأدعو لهذه بالبقاء

[٢٣/أ] ثرى يدك : كرمهما وعطاءهما .

[٢٣/ب] العهد : مطر أول السنة . مفردة : عهدة .

[٢٤] الحسن بن وهب مات نحو (٢٥٠ هـ — ٨٦٥ م) هو سعيد بن عمرو =

[٢٥] من أظرف ما قيل في الاستزارة :

[أ] قول أبي الفتح البُستى :

عندى فِدَيْتِكَ سَادَةٌ أَحْرَارُ وقلوبهم شوقاً إليك حِرَار
وشرابنا شَرْبُ العلوم، وروضنا نَزْهُ الحديث، وثَقْها الأشعار
فأمن علينا بالبَدَارِ فإِذَا أعمار أوقاتِ السرورِ قِصَار
[ب] وقوله أيضاً :

لِقَاؤُكَ يُذْنِي لِي الْمُرْتَجَى وَيَفْتَحُ بَابَ الْهُوَى الْمُرْتَجِجِ
فَأَسْرِعْ إِلَيْنَا وَلَا تُبْطِئَنَّ فَإِنَّا صِيَامٌ إِلَى أَنْ تَجِيَّ



== بن حصين : كاتب ، من الشعراء كان معاصراً لأبي تمام وله معه أخبار ، وكان وجيهاً ، ولما مات رثاه البحرى (فوات الوفيات) (١ : ١٣٦) .

[٢٥/أ] حِرَار : جمع حَارَّةٍ مما بها من نار الشوق . والنَّقْلُ : مَا يُنْقَلُ بِهِ عَلَى الشَّرَابِ مِنْ فَوَاكِهٍ وَكَوَاخِ وَغَيْرِهَا ، وَمَا يَتَفَكَّهُ بِهِ مِنْ جُوزٍ وَلُوزٍ وَبَنْدُقٍ وَنَحْوِهَا .

والبَدَارُ : المبادرة والمسارة بتلبية الدعوة .

[٢٥/ب] الْمُرْتَجِجُ : المغلق . أما الْمُرْتَجَى ، فهو الْمَرْجُوُّ وَالْمَأْمُولُ ، وَالْمُنْتَظَرُ ، وَبَيْنَهُمَا جَنَاسٌ نَاقِصٌ .

الباب الخامس

في الأدبيات

- من أحسن ما قيل في القلم .
- أحسن ما قيل في حسن الخط .
- من ملح أبى الفتح البستي .
- من أحسن ما قيل في وصف الكلام الحسن .
- أبدع ما قيل في ذم القلم .
- أحسن ما قيل في ذم الكتاب .
- من أحسن ما قيل في مدح الشعر .
- من أحسن ما قيل في وصف الشاعر شعره .
- أحسن ما قيل في شرف الشاعر .
- أحسن ما قيل في ذم الشاعر .

في الأدبيات

[١] من أحسن ما قيل في « القلم » :

[أ] قول أبي الفتح البستي :

إذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم وعدّوه مما يُكسبُ المجد والكرم
كفى قلم الكتابِ فخراً ورفعةً - مدى الدهر - أن الله أقسم بالقلم

[ب] وقول الآخر :

وأخرسَ ينطقُ بالمُحكّماتِ وجُثمائه صامتٌ أجوفٌ
بمكةَ ينطقُ في خفيةٍ وبالصين منطقه يُعرفُ !

[٢] ولم أسمع في حسن الخط أحسن من :

[أ] قول أبي إسحاق :

وكم من يدٍ بيضاءَ حازتْ جمالها يدٌ لك لا تسودُ إلا من النَّفسِ
إذا رَقِشتْ بيضَ الصحائفِ خلَّتْها تُطرزُ بالظلماءِ أرديةَ الشَّمسِ

[١ / أ] أقسم الله بالقلم في قوله تعالى في أول سورة القلم : ﴿ ن والقلم وما
يسطرون ﴾ .

[١ / ب] المحكمات : المتقنات ، والآيات البينات . في خفية (بضم الحاء
وكسرهما) : في استتار .

[٢ / أ] النَّفسُ : المداد يكتبُ به ، والجمع : أنقاس وأنقُس . رَقِشتْ :
نقشت وزخرفت ، وحسنت وزينت . والأردية جمع رداء .

[ب] وقوله أيضاً في المهلبى الوزير :

وإذا استنطق الأنامل جاءت بيان كالجوهر المنضود
في سطور كأنها نشرت يمنا هـ منها عصائباً من برود
فقر لم يزل فقير إليها كل مبدى بلاغة ومعيد
بيان شافٍ، ولفظ مصيب واختصار كافٍ، ومعنى سديد
[جـ] وقوله أيضاً :

له يد برعت جوداً بنائلها ومنطق دُرّه في الطرس ينشر
فحاتم كامن في بطن راحتها وفي أناملها سخبان مُستَر
[٣] ومن ملح أى الفتح البستى :

[أ] قوله :

بِنَفْسِي مِنْ أَهْدَى إِلَى كِتَابِهِ فَأَهْدَى لِي اللَّيْمَامَعَ الدِّينِ فِي دُرْجٍ

[٢/ب] المهلبى الوزير : (الحسن بن محمد) (ت ٣٥٢ هـ - ٩٦٣ م)
أديب شاعر ، من كبار الوزراء ، يعود بنسبه إلى المهلب بن أبى صُفرة ،
استوزره معز الدولة البويهى والطبيع العباسى . له شعر رقيق . مدحه الزاهى .

والمنضود : المنظوم . والعصائب : جمع عصابة ، وهى العمامة ، والتاج .
والبرود : جمع بُرد : كساء مخطط يلتحف به . وفقر : جمع فقرة ، وهى
الجملة من كلام ، أو جزء من موضوع ، أو شطر من بيت شعر ، ويقال :
ما أحسن فقر كلامه ! : نكته .

[٢/جـ] النَّائِل : العطاء . والطرس : الصحيفة . والكتاب الذى مى ثم
كتب . والجمع : طروس وأطراس .
وحاتم الطائى : يضرب به المثل فى الكرم . وسخبان : رجل من وائل
مشهور بفصاحته وبلاغته .

[٣/أ] الدُرْج : شبه صندوق يدخل فى ثنايا المكتب أو الصوان ونحوه =
٥٣

كِتَابُ مَعَانِيهِ خِلَالَ سَطْوَرِهِ لَأَلِيٍّ فِي دُرُجِ كَوَاكِبِ فِي بُرْجِ
[ب] وَقَوْلُهُ أَيْضاً :

كِتَابُكَ سِيدِي أَجْلَى هُمُومِي وَحَلَّ بِهِ اغْتِبَاطِي وَابْتِهَاجِي
كِتَابٌ فِي سَرَائِرِهِ سُرُورٌ مُنَاجِيهِ مِنَ الْأَحْزَانِ نَاجٍ
فَكَمْ مَعْنَى بَدِيعِ دُرُجٍ لَفْظٍ هُنَاكَ تَزَوَّجَا أَيْ اِزْدَوَاجٍ
كَرَاجٌ فِي زَجَاجِ بَلِّ كُرُوحٍ سَرَتْ فِي جِسْمٍ مُعْتَدِلِ الْمِزَاجِ
[جـ] وَقَوْلُهُ أَيْضاً :

لَمَّا أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مَبْتَسِمٌ عَنْ كُلِّ بَرٍّ وَفَضْلٍ غَيْرِ مَحْدُودٍ
حَكَّتْ مَعَانِيهِ فِي أَثْنَاءِ أَسْطَرِهِ آثَارَكَ الْبَيْضَ فِي أَحْوَالِي السُّودِ
[٤] وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الْكَلَامِ الْحَسَنِ :

[أ] قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيِّ :

إِذَا ارْتَجَلَ الْكَلَامُ بَدَا خَلِيجٌ فِيهِ يَمُدُّهُ بِحُرِّ الْكَلَامِ
كَلَامٌ، بَلِّ مُدَامٌ، بَلِّ نِظَامٌ مِنْ الْيَاقُوتِ، بَلِّ حَبِّ الْعِمَامِ

== وَسُفِيْطُ تَوْضِعٍ فِيهِ الْأَشْيَاءُ ، وَأَصْلُهُ لِلْمَرْأَةِ تَضَعُ فِيهِ خِجْفَ مَتَاعِهَا وَطَيِّبِهَا .

[٣/ب] أَجْلَى : كَشَفَ وَأَزَالَ . اغْتِبَاطِي : سُرُورِي .

مُنَاجِيهِ مِنَ الْأَحْزَانِ نَاجٍ : مَنْ يَجْلِسُ إِلَيْهِ يَنْجُو مِنَ الْأَحْزَانِ بِمَا يَدْخُلُهُ عَلَيْهِ
مِنْ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ . وَسَرَائِرُهُ : مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ .
وَدُرُجٍ : (بِفَتْحِ الدَّالِ وَسُكُونِ الرَّاءِ) : طَيِّ . وَالْإِزْدَوَاجُ : الْإِقْتِرَانُ .
وَإِزْدَوَاجُ الْكَلَامِ : أَنْ يَشْبِهَ بَعْضُهُ بَعْضاً فِي السَّجْعِ أَوْ الْوِزْنِ . وَالرَّاحُ :
الْخَمَرُ .

[٤/أ] يَتَدَفَّقُ عِنْدَمَا يَرْتَجُلُ كَأَنَّ الْبَحْرَ يَمُدُّهُ بِالْكَلِمَاتِ . وَالْمُدَامُ : الْخَمَرُ ،
وَالنِّظَامُ : الْمَنْظُومُ مِنَ الْيَاقُوتِ وَحَبِّ الْعِمَامِ ، وَحَبِّ الْمُزْنِ ، وَحَبِّ قُرٍّ :
الْبَرْدِ . وَاحِدَتُهُ حَبَّةٌ . وَهُوَ الْمَاءُ الْجَامِدُ ، يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ ، قِطْعاً صَفَاراً .

[ب] وقول أئى إسحاق للمهلبى الوزير :

لك فى المحافل منطق يشفى الجوى ويسوغ فى أذن الأديب سلافه
فكان لفظك لؤلؤ متحل وكأنا آذاننا أصدافه

[ج] وقول مؤلف الكتاب للأمير أئى الفضل المكىالى :

سبحان ربى تبارك الله ما أشبه بعض الكلام بالعسل !
والدر والسحر والرقي وابنة ال كرم وحلى السنان والحل
مثل كلام الأمير سيدنا نظما ونثرا يسير كالمثل

[أ] وقوله للمؤلف :

إنى أرى ألفاظك الغرا عطلت الياقوت والذرا
لك الكلام الحر يا من غدت أفعاله تستعبد الحرا

[٤/ب] يشفى الجوى : الجوى مرض الصدر ، وضيقه ، وتطاول المرض ،
واشتداد الوجد من عشق أو حزن . ويسوغ : تتقبله الأذن ، والسلاف من
كل شئ : خالصه متحل : مختار متقى .

[٤/ج] الميكالى : (٢٧٠ - ٣٦٢ هـ / ٨٨٣ - ٩٧٢ م) أبو العباس
إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال : شيخ خراسان ووجهها فى عصره .
كان كاتباً مترسلاً ، تقلد ديوان الرسائل . وفيه وفى أبيه قال الدرديرى
مقصورته .

والرقي : جمع رقية ، وهو العودة التى يرقى بها المريض ونحوه . وابنة
الكرم : الخمر . والكرم : العنب . والحلى : زينة المرأة والسيف وغيرها .
والسنان : السيف . والحل : جمع حلة وهى الثوب الجيد الجديد .

[٤/د] والغرا : الغراء . المشهورة . وعطل الشئ : أخلاه . تستعبد الحرا :
تأسره بجمالها وسحرها .

[٥] وأبدع ما قيل في ذم القلم قول ابن المعتز :

وأجوف مشقوق كأن سنانه

إذا استعجلته الكف منقار لاقط

وتاه به يوم فقلت: رؤيدكم

فما كاتب بالكف إلا كشارط

[٦] وأحسن ما قيل في ذم الكتاب :

[أ] نَعَسَ الزمان فقد أتى بعجاب

ومحا رسوم الظرف والآداب

وأتى بكتاب لو انطلقت يدي فيهم ردّتهم إلى الكتاب

[ب] وقول بعض كتاب بخارى :

وكاتب كتبه تذكّرني الـ قرآن حتى أظّل في عجب

فاللفظ «قالوا: قلوبنا غُلف» والخط «تبت يدا أبي هب»

[٥] السّنان : النصل وكل جزء مسنن محدد مثل سن القلم . واللاقط : الذى

يلقط السنابل ونحوها . والمنقار : منسر الطائر . وآلة ينقر بها الخشب .

وحديدة تقطع بها الحجارة ، وشرط الجلد ونحوه شرطاً شقه فهو شارط .

[٦/أ] نَعَسَ : عَثَرَ فسقط وأكبّ على وجهه ، ودعاء عليه بالهلاك . رسوم :

معالم . والكتاب : جمع كاتب . والكتاب : مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة

والكتابة وتحفيظهم القرآن .

[٦/ب] غُلف : يقال غُلف قلبه : لم يع الرشد ، كأن على قلبه غلافاً ، فهو

أغلف ، وهى غلفاء ، والجمع غُلف ، وفى التنزيل العزيز : ﴿وقالوا قلوبنا

غُلف﴾ [البقرة : ٨٨]

والمقصود : أنه غير مفهوم لفظه ولا مقروء خطه !

[٧] ومن أحسن ما قيل في مدح الشعر قول أبي تمام :

إن القوافي والمساعي لم تزل مثل النظام إذا يكون فريدا
هي جوهراً نثر فإن ألفته بالشعر صار قلائداً وغثوداً

[٨] من أحسن ما قيل في وصف الشاعر شعره قول بعضهم :

شغلتك عن حسن السماع مدائح
حسنّت فما تنفك تطرب سامعاً
طلعت عليك أبا الفوارس أنجم

منهنّ يحجلن النجوم طوالها
جاءتك مثل بدائع الوشى الذى

ما زال فى صنعاء يتعب صانعاً
أو كالربيع يريك أحضر ناضراً

ومورداً شرقاً وأصفر فاقعاً

[٩] وأحسن ما قيل فى شرف الشاعر :

إن أكن مُهدياً لك الشعر إنا لأناسٌ تُهدى لنا الأشعارُ

[٧] جاء فى ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزي : وقال : يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني : ثم ساق القصيدة التى منها هذان البيتان .. ويريد أن يقول : القوافى نظام يتم بشرف هذا الممدوح فيكون كالفريد لهذا النظام . وكرم هؤلاء جواهر نثر حتى ينظمه الشعر ويخصيه فيتحلّى به الممدوح .

[٨] الوشى : نقش الثوب ، ويكون من كل لون ، ونوع من الثياب المؤشيه . وصنعاء باليمن مشهورة : بتلك الثياب .

ومورداً شرقاً : يقال : شرق الموضع بأهله : امتلاء فضاك ، ويقال : شرقت الآلة : غصت بوقودها (محدثة) .

[٩] إن تسودوه : كانوا سادة له

غير أنى أراكم أهل بيت ما على المرء إن تسودوه عار

[١٠] [أ] ومن أحسن ما قيل في ذم الشاعر :

أنت بين اثنتين تبرز للذاس وكلتاها بوجه مُذال
لست تنفك طالبا لوصول من حبيب أو طالبا لسؤال

[ب] وقول أبي عثمان الخالدي :

شعر عبد السلام فيه رديء ومحال وساقط وبديع
فهو مثل الزمان إذ فيه صيف وخريف وشتوة وريبع

[جـ] وللقاضي أبي الحسن الجرجاني في الأستاذ الطبري :

لو نفضت أشعاره نفضة لا تشرث تطلب أصحابها

[١٠/أ] مُذال : يقال : أذاله : أهانه وابتذله فهو مُذال أى : مهين مبتذل ، غير مصون ماؤه .

[١٠/ب] محال : قوة . شتوة : شتاء .

[١٠/جـ] أبو الحسن الجرجاني : هو علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني : القاضي الأديب صاحب كتاب : « الوساطة بين المتبني وخصومه » وله ولد بجرجان ، وتولى القضاء بها ، ثم القضاء بالرقي في أيام صاحب بن عباد ، ثم قضاء القضاة ، ومات بنيسابور ، ودفن بجرجان سنة ٣٩٢ هـ (ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر) (٤ : ٣ - ٢٥ ، وياقوت في معجم الأدباء ١٤ : ١٤ - ٣٥)

هذا ولست في حاجة إلى أن أذكرك بأن الباب السادس كله « في الخمریات » فالى السابع .

الباب السابع

في الربيع وآثاره

- من أحسن ما قيل في الربيع .
- من بدائع أئى الفرج فى قوس قزح .
- من أحسن ما قيل فى الأيام الربعية الموصوفة بالدجن .
- أحسن ما قيل فى اليوم المثلون .
- أحسن ما قيل فى الرياض والزهر .
- أحسن ما قيل فى النسيم .
- أحسن ما قيل فى الترجس .
- أحسن ما قيل فى الورد .
- أحسن ما قيل فى تشبيه الملول به .
- أحسن ما قيل فى البتفسج .

في الربيع وآثاره

[١] من أحسن ما قيل في الربيع :

[أ] قول ابن المارداني :

أما ترى الأرضَ قد أعطتك عُذَّ
رَتَها مخضرةً واكتسى بالتَّوَرِ غاريها
فَلِلسماءِ بكاءٌ في حدائقِها
وللرياضِ ابتسَامٌ في نواحيها

[ب] وقول الصنوبري :

تبارك الله ما أحلى الربيعَ فلا
يَعْرُزُ مُقَاسِمَه بالصيفِ مَعْرُورُ
مَنْ شَمَّ طيبَ جُنَيَّاتِ الرَّبيعِ يَقْلُ :
لا المسكُ مِسْكٌ ولا الكافورُ كَافُورُ

[١ / أ] العُذرة : البكارة . والتَّوَر : الزهر الأبيض . واحدته نَوْرَة .

[١ / ب] الصَّنُوبري : (أحمد بن محمد أبو بكر) (ت ٩٤٦ م) شاعر ولد في أنطاكية . عاش في بلاط سيف الدولة ، وتغنَّى بجمال الطبيعة له ديوان « الروضيات » .

مُقَاسِمَه : من يقيسه به ، ويقال : قاس الشيء على غيره ، وبه قوساً وقياساً
قَدَرَه على مثاله . جُنَيَّات : جمع جنينة . وهي الجنة الصغيرة .

[جـ] وقول بعضهم :

طابَ هذا الهواءُ وازدادَ حتَّى ليسَ يزدادُ طيبُ هذا الهواءِ
ذهبَ حيثُ مذهبُنَا، ووَزِدَ حيثُ رُدْنَا، وَفِضَّةٌ في الفِضَاءِ

[ء] وقول أبي الفتح بن العميد :

اسعدَ نِيرُوزِ أَتَاكَ مَبِشَّرًا بَسْعَادَةٍ وَزِيَارَةٍ وَدَوَامِ

[هـ] وقول مؤلف الكتاب :

أظُنُّ الرِّيحَ الْآنَ قَدْ جَاءَ تَاجِرًا
ففي الشمسِ بَرَّازًا وفي الرِّيحِ عَطَّارًا
وما العيشُ إِلَّا أَنْ تُوَاكِجَ وَجْهَهُ
وَتَقْضَى بَيْنَ الْوَشَى وَالْمَسْكِ أَوْطَارًا

[٢] ومن بدائع أبي الفرج قوله في قَوْسٍ قُرَّحَ :

سُقْيَا لِيَوْمٍ تَرَى قَوْسَ السَّمَاءِ بِهِ

والشمسُ مُسْفِرَةٌ وَالْبَرْقُ حَلَّاسُ

[١/جـ] رُدْنَا : يقال : راد فلان : جاء وذهب ولم يطمئن . ويقال : راد
أهله منزلاً وكلاً ، وراد لهم : تَلَمَّسَهُ فهو رائد .

[١/د] التَّوْرُوزُ أو النِيرُوز (بالفارسية) اليوم الجديد ، وهو أول يوم من السنة
الشمسية الإيرانية ، ويوافق اليوم الحادى والعشرين من شهر مارس من السنة
الميلادية ، وعيد التوروز أو النيروز أكبر الأعياد القومية للفرس .

[١/هـ] بَرَّازًا : البَرَّاز : بائع البَرِّ وهو نوع من الثياب . فهو في الشمس
يُبدى الألوان الزاهية ، أما في الرِّيح فإنه يحمل الروائح العطرة .
أوطاراً : جمع وطر وهو الحاجة فيها مأرب وهمة .

[٢] قَوْسٌ قُرَّحَ : قوس ينشأ في السماء أو على مقربة من مسقط الماء من =

كَأَنَّهَا قَوْسٌ رَامٍ وَالْبُرُوقُ لَهَا
رَشَقُ السَّهَامِ وَعَيْنُ الشَّمْسِ بُرْجَاسُ
[٣] ومن أحسن ما قيل في الأيام الربيعية الموصوفة بالدَّجْنِ والمطر
وحسن الأثر :

[أ] قول ابن المعتز :

يَوْمٌ كَأَنَّ سَمَاءَهُ حُجِبَتْ بِأَجْنَحَةِ الْفَوَاحِشِ
وَكأن قَطَرَ نِثَارِهِ دَرَّ عَلَى الْأَغْصَانِ نَابِتِ
[ب] وقول المهلبى الوزير :

يَوْمٌ كَأَنَّ سَمَاءَهُ شَبَهُ الْحِصَانِ الْأَبْرَشِ
وَكأن زَهْرَةَ أَرْضِهِ فُرِشَتْ بِأَحْسَنِ مَفْرِشِ

= الشَّلَال ونحوه ، ويكون في ناحية الأفق المقابلة للشمس ، وترى فيه ألوان
الطيف متتابعة ، وسببه انعكاس أشعة الشمس من رذاذ الماء المتطاير من ماء
المطر ، أو من مياه الشلالات وغيرها من مساقط المياه المرتفعة .

ويقال : سُقِيَاً رَحْمَةً لَا سُقِيَاً عَذَاباً : أى اسقنا غيثاً فيه نفع بلا ضرر .
مُسْفِرَةٌ : لَا تَحْجِبُهَا غُيُومٌ . والبرق خَلَّاسٌ : يقال : خَلَّسَ الشَّيْءَ خَلْسًا :
اسْتَلْبَهُ فِي نُهْزَةٍ وَمَخَاتَلَةٍ ، ويقال : خَلَّسَهُ إِيَّاهُ فَهُوَ خَالِسٌ وَخَلَّاسٌ . الْبُرْجَاسُ :
هَدَفٌ يَنْصَبُ عَلَى رَمْحٍ أَوْ سَارِيَةٍ ، (يونانية) ومعناه عندهم : رَمْحٌ أَوْ سَارِيَةٌ فِي
أَعْلَاهُ كُرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَرْمِيهَا الْحُدَّاقُ وَهُمْ عَلَى الْجِيَادِ وَالْجَمْعُ :
بِرَاجِيسٍ .

[٣] الدَّجْنُ : الْإِبَاسُ الْغَيْمُ الْأَرْضَ وَأَقْطَارَ السَّمَاءِ ، يقال : يَوْمٌ دَجْنٌ ،
ويوصف به فيقال : يَوْمٌ دَجْنٌ . والفواخت : (جمع فاختة) ضرب من الحمام
المطوق إذا مشى توسع في مشيه ، وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمائل .

[٣ / ب] الحصان الأبرش : يقال : بَرِشَ بَرَشًا : اختلف لونه فكانت فيه نقطة =

والشمسُ تَظْهَرُ تَارَةً وَتَغِيْبُ كَالْمُسْتَوْحِشِ
شَبَّهْتُ حُمْرَةَ عَيْنِهَا بِحَمَارٍ عَيْنِ الْمُنْتَشِي

[٤] وأحسن ما قيل في اليوم المتلون قول علي بن الجهم :

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله
صَحْواً وَغِيْماً ، وَإِبْرَاقاً وَإِرْعَاداً !
كَأَنَّهُ أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَيْئَةَ لَهُ
وَصَلّاً وَهَجْراً وَتَقْرِياً وَإِبْعَاداً !

[٥] وأحسن ما قيل في الرياض والزهر :

[أ] وروضٍ عن صنيع الغيثِ راضٍ
كَما رَضِيَ الصَّدِيقُ عَنِ الصَّدِيقِ
إِذَا مَا الْقَطَرُ أَسْعَدَهُ صَبُوحاً أتم له الصنِيعَةَ بِالْعَبُوقِ

= حمراء ، وأخرى سوداء ، أو غبراء ، أو نحو ذلك ، فهو أبرش . يقال : جلد أبرش ، وفرس أبرش ، وروض أبرش . والمستوحش : الذي يشعر بالوحشة وهي : الانقطاع وبعد القلوب عن المودات . والمنتشى : هو الذي بدأ سُكْرَهُ .

علي بن الجهم : (ت ٨٦٣ م) شاعر مجيد من بنى سامة كان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب والإغراء بهم . سخط عليه المتوكل لكثرة سعاياته فنفاه إلى خرسان فحبسه طاهر بن عبد الله ، قتل في طريقه من حلب إلى العراق .

[٥ / أ] الغيث : المطر أو الخاص منه بالخير . ويطلق مجازاً على السماء والسحاب والكلاء .

الصَّبُوح : شراب الصَّبَاح ، وما يشرب أو يؤكل في الصباح ، وهو خلاف العَبُوق فهو ما يشرب بالعَشِيِّ . والرحيق : الخالص الصافي من الخمر ، =

كأن الدر منتثرا عليه بقايا الدمع في حُدّ المَشُوقِ
 كأن عُصُونَهُ شَرِبَتْ رَحِيقًا فمَاسَتْ مَيْسَ شُرَابِ الرِّحِيقِ
 كأن شَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِيهِ - مُحْمَرَّةً - كَتُوسٌ مِنْ عَقِيقِ
 كأن النرجسَ الروضى فيه مَدَاهِنُ مِنْ لُجَيْنٍ لِلْحُلُوقِ
 يُدَكِّرُنِي بِنَفْسِجِهِ بِقَايَا صَنِيعِ اللَّطَمِ بِالْحِدِّ الرَّقِيقِ !

[ب] ومن ملح ابن سكرة قوله :

أما ترى الروضة قد نَوَّرَتْ وظاهر الروضة قد أَعْشَبَا
 كأنما الروضُ بِمَاءٍ لَنَا نَقْطُفُ مِنْهَا كوكِبًا كوكِبَا

[٦] ولابن المعتز في النسيم :

يَأْرَبُّ لَيْلٍ سِحْرٌ كُلُّهُ مُفْتَضِّحُ الْبَدْرِ عَلِيلُ النِّسِيمِ
 يَلْتَقِطُ الْأَنْفَاسَ بَرْدُ النَّدَى فِيهِ فَيَهْدِيهِ لِحَرِّ الْهُمُومِ

= وماست : اختالت وتمايلت .

شقائق النُّعْمَانِ : الشُّقَارَى . نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود ، وله أنواع وضروب . والعقيق : حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص يكون باليمن وبسواحل البحر المتوسط .

والنرجس : نبت من الرياحين تزرع لجمال زهرها ، وطيب رائحته ، وزهرته تشبه بها الأعين . والمداهن : جمع مُدْهِنٌ : آلة الدهن . وقارورة الدُّهْنِ . واللُّجَيْنُ : الفضة . والحُلُوقُ : ضرب من الطَّيِّبِ أعظم أجزائه الزعفران . والبنفسج : نبات زهرى من جنس « فيولا » من الفصيلة البنفسجية يزرع للزينة ولزهوره . عَطِرَ الرَّائِحَةُ .

[٦] فيهديه لحر الهموم : فيزيلها ، فتصبح نارها برداً وسلاماً .

[٧] وفي غناء الطير :

ذُرَى شَجَرٍ لِلطَّيْرِ فِيهَا تَشَاوِرُ كَأَنَّ صُنُوفَ الزَّهْرِ فِيهَا جَوَاهِرُ
كَانَ الْقَمَارَى وَالْبَلَابِلُ فَوْقَهَا قِيَانٌ وَأُورَاقُ الْغُصُونِ سَتَائِرُ

[٨] ولابن المعتز في النرجس :

عَيُونٌ إِذَا عَايَنَتْهَا فَكَأَنَّمَا وَقُوعُ النَّدى مِنْ فَوْقِ أَجْفَانِهَا ذُرُ
مَحَاجِرُهَا بَيضٌ وَأَحْدَاقُهَا صُفْرٌ وَأَجْسَادُهَا خُضْرٌ وَأَنْفَاسُهَا عِطْرٌ

[٩] ومن أحسن ما قيل في الورد :

[أ] قول علي بن الجهم :

زَائِرٌ يُهْدِي إِلَيْنَا نَفْسَهُ فِي كُلِّ عَامٍ
حَسَنُ الْوَجْهِ ذِكْرِي أَلْ رِيحُ الْإِلْفِ لِلْمُدَامِ

[ب] وقول بعضهم في باكورة وَرْدٍ لم تفتح :

وورْدَةٌ تَحْكِي لِهَذَا الْوَرْدِ طَلِيعَةً تَسْرَعَتْ مِنْ جُنْدِ
قَدْ ضَمَّهَا فِي الْغُصْنِ قَرَصُ الْبَرْدِ ضَمَّ فِيمَ لِقُبْلَتِهِ مِنْ بَعْدِ

[٧] الْقَمَارَى : جمع قُمَرَى : ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت .
وَالْأُنثَى : قُمَرِيَّة . وَالْقِيَان : جمع قَيْنَة : المنثية .

[٨] يشبهون زهرة النرجس بالعيون . ويقولون : عيون النرجس . عاينتها :
معانية وعيانا : رأيتها بعينك ، وليس الخبر كالعيان ! والمحاجر : جمع مخجر :
ما أحاط بالعين . والأحداق : جمع حَدَقٍ وَحِدَاقٍ وهما جمع حدقة وهي السواد
المستدير وسط العين .

[٩/أ] قوله : إلف للمدام : ليس إلا مجرد رؤية للشاعر والورد يملأ علينا حياتنا
ويسعدنا في غيبتها !

[جـ] ومن أحسن ما قيل في الورد :

وَوَرْدَةٌ فِي بَنَانٍ مِعْطَارٍ حَيَّتْ بِهِ فِي لَطِيفِ أَسْرَارِ
كَأَنَّهَا وَجَنَةُ الْحَيِّبِ وَقَدْ نَقَطَهَا عَاشِقٌ بِدِينَارِ

[١٠] وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي التَّمْثِيلِ بِالْوَرْدِ قَوْلُ ابْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ :

أَرَى عَهْدَهَا كَالْوَرْدِ لَيْسَ بِدَائِمٍ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ
وَعَهْدِي بِهَا كَالْأَسِّ حُسْنًا وَزِينَةً لَهُ مَنْظَرٌ يَبْقَى إِذَا ذَهَبَ الْوَرْدُ

[١١] وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي تَشْبِيهِ الْمَلُولِ بِهِ قَوْلُ ابْنِ الْجَهْمِ :

مَا أَخْطَأَ الْوَرْدُ مِنْكَ شَيْئًا حُسْنًا وَطَيِّبًا وَلَا مَلَالًا
أَقَامَ حَتَّى إِذَا أَنْسَنَا بِقُرْبِهِ أَسْرَعَ انْتِقَالًا

[١٢] وَمَا قِيلَ فِي الْبِنْفَسِجِ :

بِنْفَسِجٍ بِذِكِّي الرُّوحِ مَحْصُوصُ مَا فِي زَمَانِكَ إِنْ وَافَاكَ تَنْغِصُ
كَأَنَّهُ شَعْلَةُ الْكِبْرِيتِ بَارِزَةٌ أَوْ خُذْ أَغِيدَ بِالتَّجْمِيشِ مَقْرُوصُ

[١٠] الْآسُ : شَجَرٌ دَائِمٌ الْخَضَرَةُ بِيضِيَّ الْوَرَقِ . أَبْيَضُ الزَّهَرُ أَوْ وَرْدِيهِ .
عِطْرِي ، وَثَمَارُهُ لَبِيَّةٌ غُضَّةٌ .

[١٢] الرُّوحُ : نَسِيمُ الرِّيحِ . تَقُولُ : وَجَدْتُ رَوْحَ الشَّمَالِ : بَرْدَ نَسِيمِهَا .
وَالْكِبْرِيتُ : عَنَصْرٌ لَا فَلَزَى ذُو شَكْلَيْنِ بَلُورَيْنِ وَثَالِثٌ غَيْرُ بَلُورِي نَشِيطٌ
كِيمِيَائِيًّا ، وَيَتَنَشَّرُ فِي الطَّبِيعَةِ شَدِيدَ الْاشْتِعَالِ .

وَالْأَغِيدُ : مِنَ النَّبَاتِ النَّاعِمِ الْمُتَشْنِي ، وَمِنَ النَّاسِ الْوَسْنَانُ الْمَائِلُ الْعِنَقُ
وَالْمُتَشْنِي فِي نَعْمَةٍ ، وَالتَّجْمِيشُ : الْمَغَاظِلَةُ بِقَرَصٍ أَوْ مَلَاعِبَةٍ .

[١٣] ولابن المعتز في النُّور المختلِف :

وترى البَّهَارَ مُعَانِقًا لِيَنْفَسِجَ وكأنَّ ذلك زائرٌ ومزورٌ
وكانَ تُرْجِسُهُ عَيُونٌ كُحِّلَتْ بالزَّعْفَرَانِ ، جفونُها الكافورُ
تُحْيِي النُّفُوسَ بِطَبِيبِهَا فَكَأَنَّهَا طعمُ الرُّضَابِ يَنَالُهُ المَهْجُورُ !



[١٣] البَّهَارُ : (يفتح الباء) جنس زهرٍ من المركبات الأنبوبية الزهر ، طيب
الريح ، ينبت أيام الربيع ، ويقال له : العَرَار . والزَّعْفَرَان : نبات بصلي معمر
من الفصيلة السوسنية ، ومنه نوع صيفي طبي مشهور . والكافور : شجر من
الفصيلة الغارية يتخذ منه مادة شفافة بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض ،
رائحتها عطرية .

والرُّضَاب : الريق ، أو الريق المرشوف ، وما أجمل الوصل بعد الهجر !

الباب الثامن

في

الصيف والخريف والشتاء

- من أحسن ما قيل في الحر .
- لأبي إسحق الصائى في البَق .
- في البعوض والبرغوث .
- في الباذنجان .
- في المشمش .
- في التفاح .
- في وصف حبة عنب .
- أحسن ما قيل في الرمان .
- أحسن ما قيل في التين .
- أحسن ما قيل في الفستق .
- أحسن ما قيل في الزبيب الطائفي .
- أحسن ما قيل في البرد .
- أحسن ما قيل في الثلج .
- أحسن ما قيل في النار .

في الصيف والخريف والشتاء

[١] من أحسن ما قيل في الحرّ :

[أ] قول بعض العرب :

ويوم كأنّ المصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وإن لم يكن جَمراً قِيَامٌ على الجَمَرِ
صَبَرْتُ له حتى يَمُرَّ وإنما تُفرج أيامُ الشدائدِ بالصَّبْرِ

[ب] وقول مؤلف الكتاب :

رُبَّ يومٍ هواؤه يتلظى فيحاكي فُوَادَ صَبٍّ مُتَيِّمٍ
قلتُ إذْ صَكَ حَرُّهُ حَرٌّ وَجْهِي « ربنا اصرف عنا عذاب جهنم »

[٢] ولأبي إسحاق الصَّابِي في البَق :

وليلةٍ لم أذُقْ مِنْ حَرِّهَا وَسَنًا كأن في جَوْهَا النيرانُ تَشْتَعِلُ
أطاف بي عَسْكَرُ اللَّبَقِ ذُو لَجَبٍ ما فيه إلا شَجَاعٌ فَاتَكَ بَطْلُ

[١ / أ] اصطلى النار وبها : استدفأ ، والمراد : المحترقين بحرارة شمسهِ .

[١ / ب] يتلظى : يقال : تَلَطَّطَتِ النارُ : تَلَهَّيْتُ ، ويقال : تلظى الحرّ ،

وتلظت المفازة . والصَّب : المشتاق . والمتَّيِّم : الذى ذهب الحب بعقله

وتيممه . وفي البيت الثانى تضمنين للآية الكريمة : ﴿ والذين يقولون ربنا

اصرف عنا عذاب جهنم ﴾ [الفرقان : ٦٥]

وبين حَرِّهِ وحُرِّ وجهى جناس لطيف .

[٢] البَق : حشرة من رُبَّةٍ نصفية الأجنحة ، أجزاء فمها ثاقبة ماصة على =

من كل شائلة الخرطوم طاعة
لا تحجب السجف مسراها ولا الكلل
طافوا علينا وحر الشمس يطبخنا
حتى إذا نضجت أجسادنا أكلوا

[٣] وقول مؤلف الكتاب في البعوض والبرغوث :

وليل بته رهن اكساب أقاسى فيه ألوان العذاب
إذا شرب البعوض دمي وغنى فللبرغوث رقص في ثيابي
[٤] ومن أحسن ما قيل في الباذنجان :

وباذنجان حشيت حشاها صغار الدر باللبن الحليب
تقمصت النفسج واستقلت من الآس الرطيب على قضيب

= شكل خرطوم . والوسن : النوم . ذو لجب : اللجب : ارتفاع أصوات
الأبطال واختلاطها دليل كثرتها ، ويضرب المثل بالبق في التكاثر .
والسجف : جمع سجاف وهو الستر ، والكيلة : (الناموسية) والمراد :
لا يحول دونها شيء ، ولا يوقف زحفها ، ولا مسراها حواجز . والبق يهيج
ويتشتر في الحر ، ويشير إلى ذلك البيت الأخير .

[٣] وقد أراحتنا المضادات الحشرية والعناية بالنظافة من البق والبرغوث
والبعوض إلى حد ما ، حتى لتكاد تختفى من حياتنا في المدن .

[٤] الباذنجان : الأكثر في هذا اللفظ كسر الذال ، وبعض العجم يفتحها ،
وهو من الألفاظ الفارسية التي لمسامها أسماء في لغة العرب : منها الأنب
محركة ، والمعد ، والوعد ، والحصيل . انظر شفاء الغليل . وهو ذو ثمر أسود
أو أبيض مستطيل أو مكور . ويصف لنا الشاعر داخلها في البيت الأول ،
ولونها في البيت الثاني .

[٥] ومن أحسن ما قيل في المُشْمَش :

أما ترى المُشْمَشَ يا خِلَّ الأدب مُشَطَّباً أَكْرَمَ بهاتيك الشُّطْبَ
مُثَقَّبَ الهاماتِ من غير ثقب كأنه بِنادقٍ من الذَّهَبِ
قد صاعها صائغها بلا ثَعْب !

[٦] ومن أحسن ما قيل في التفاح :

[٥] الشمس : (مثلث اليمين) شجر مثمر من الفصيلة الوردية ، يؤكل غصّاً ، أو مجفّفاً ، أو على شكل شرائح تسمى « قمر الدين » . ويقال : شطب الأديم : شقه ، وشطَّب : مبالغة شطب . والشُّطْب : خطوط تترأى في متن السيف . والشطبة من الشيء قطعة تقطع طولاً . والبنادق : جمع بندقة وهي كرة في حجم البندقة يرمى بها في القتال والصيد . وقد ورد هذا التشبيه في كثير من الشعر كقول الشاعر :

فخِلَّتْهُ حين تأملتْهُ بِنادقاً من ذهبٍ أحمَر

وقول ابن المعتز :

كأنه في غصون الدوح حين بدا بِنادقٍ خرطت من خالص الذهب

[٦] أغفلنا ذكر البيتين لتضمنهما وصفاً للراح وتشبيهه التفاح بها وهي به في يد جارية ، ولم نبعد فكثيراً ما اختار المؤلف لأبى الفتح البستي . ومن التماذج التي جاءت في نهاية الأرب :

وتفاحية من كف ظبي أخذتها جناها من الغصن الذي مثل قَدّه
حكّت لمس نهديه وطيب نسيمه وطعم ثاياه وحمرة خده

[٧] للصاحب في وصف حبة عنب :

وحبة من عنبٍ قطفتها تحسُّدها العقودُ في الترائبِ
كأنها من بعد تمييزي لها لؤلؤةٌ قد تُقْبِتُ من جَانِبِ

[٨] ومن أحسن ما قيل في الزمان قول بعضهم :

ورُمانٍ رقيقِ القشرِ يحكى ثُدَى الغيدِ في أثوابٍ لاذِ
إذا قشرته طلعت علينا فصوصٌ من عقيقٍ أو بجاذي

[٩] ومن أحسن ما قيل في التين :

ياتينُ ياسيدَ الفواكِه يا أطيبَ ما نَجَّتني من الشَّجرِ
فضلك الله في الكتابِ على الـ زَيتونِ في آيةٍ من السُّورِ

[٧] الترائب : جمع ترية : موضع القلادة من الصدر .

وقوله بعد تمييزي لها : أى بعد أفرادها وتأملها .

[٨] الثُدَى : جمع ثدى . والغيد : جمع غيداء أو غادة .. وهى الناعمة اللينة من الفتيات . واللاذ : ثياب حرير تنسج بالصين واحديتها لازدة والعامية يقولون : « لاسة » . أما البجاذى : فقد جاءت هذه الكلمة في لطائف المعارف عند الكلام على « نيسابور » حيث قال : « وبِجاذي بلخ » ويقول الجاحظ في كتاب « التبصر بالتجارة » (ص ١١) « وخير البجاذى الأحمر الشديد الحمرة الملتهب لونه التهاب النار » .

وقد ذكره ياقوت في « معجم البلدان » في رسم « بلخشان » وفيها معدن البجاذى حجر كالياقوت غير البلخش والبلور الخالص .

[٩] يشير الشاعر إلى ما جاء في سورة التين الآية الأولى : ﴿ والتين والزيتون ﴾ وقد جاء في مختصر تفسير الإمام الطبرى :

١ — ﴿ والتين والزيتون ﴾ . قيل : التين الذى يؤكل ، والزيتون الذى يعصر . أقسم الله بهما .

[١٠] ومن أحسن ما قيل في الفستق قول الصابي :

والتَّغْلُ مِنْ فُسْتَقٍ حَدِيثٍ رَطْبٌ تَبْدَى بِهِ الْجَفَافُ
لِي فِيهِ تَشْبِيهُ فِيلْسُوفٍ أَلْفَاظُهُ عَذْبَةٌ خِفَافُ
زُمُرْدٌ صَانُهُ حَرِيرٌ فِي حَقِّ عَاجٍ لَهُ غِلَافُ

[١١] ومن أحاسن المأموني قوله في الزبيب الطائفي :

وطائفي من الزبيب به ينتقل الشَّرْبُ حين ينتقل
كأنه في الإناء أوعية من البجاذي ملؤها عسلُ

[١٠] الصابي : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الحرائي ، كان صابئاً على دين فلاسفة القدماء اليونان : وكان جميل العشرة للمسلمين ، وتكسب بالكتابة في دواوين بغداد ، وكان رئيس الكتاب بها ، وصدرت عنه نفائس الرسائل ، وله شعر جميل . ومات سنة ٣٨٤ هـ والنقل (يفتح النون) ما ينتقل به على الشراب ، وقد يضم أوله ، وهو المشتهر على الألسنة ، وذكر بعض اللغويين أن الضم خطأ .

[١١] المأموني : هو أحد بلغاء الشعراء الوصافين المجيدين للفخر ، وهو أبو طالب عبد السلام من ذرية الخليفة المأمون العباسي ، قصد بخاري وأقام بها طامعاً أن يجتد بها جنداً يفتح به بغداد فمات سنة ٣٨٣ هـ غير بالغ الأربعين من عمره .

وقد ساق النويري في نيل الأرب هذين البيتين فيما وصف به الكروم والأعنان نظماً ، والشَّرْبُ : الجماعة يشربون والبجاذي حجر كالياقوت غير البلخش والبلور الخالص .

وقد صوب المحققون كلمة البجاذي وساقوا بدلاً منها النواجيد جمع ناجود وهو باطية الشراب مع أنها في كلا الأصلين « من النجاد وملؤها » وأصلها البجاذي أو البجاذ بالدل أو الذال فصحفت . وهي المناسبة للمقام .

- [١٢] ومن أحسن ما قيل في البرد قول الهمذاني :
- يَوْمٌ مِنَ الزَّمْهِيرِ مَقْرُورٌ عَلَيْهِ جَيْشُ الضَّبَابِ مَرْزُورٌ
- [١٣] ومن أحسن ما قيل في الثلج قول الصاحب :
- أَقْبَلَ الْجَوُّ فِي غَلَائِلِ نَوْرٍ وَتِهَادَى فِي لُؤْلُؤٍ مَنثورٍ
فَكَانَ السَّمَاءُ صَاهَرَتْ الْأَرْضَ ضَ فَكَانَ النَّثَارُ مِنْ كَافُورٍ
- [١٤] ومن أحسن ما قيل في النار قول الصنوبري :
- كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَحْسَنٌ فِي الْعَيُونِ دُونَ حُسْنِ الْكَانُونِ فِي كَانُونٍ

[١٢] الزمهير : شدة البرد . ويقال : قر اليوم قرًا : برد . ويقال : زرَّ السَّنَانُ زَرِيرًا : لمع ، وزرَّ الثوبُ : أدخل أزراره في العُرا ، وهو المراد هنا حيث حال الضباب دون ظهور الشمس ، وقد جاء مثله في شعرنا العربي : « زرَّ أزراره على القمر » . ومخدرة : مخبئة في خدرها . والقوارير : جمع قارورة وهي وعاء من الزجاج تحفظ فيه السوائل .

[١٣] الغلائل : جمع غلالة : وهي ثوب رقيق يلبس تحت الدثار . وصاهرت : يقال : صاهر القوم ، وفيهم وإليهم : أصهر . وأصهر إليه : دنا منه ، وإلى القوم وبهم : تزوج منهم . والنثار : ما ينثر على العروس من دنائير وغيرها . ومن شجر الكافور تتخذ مادة شفافة بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض ، رائحتها عطرية .

[١٤] الكانون : الموقد . وكانون الأول : ديسمبر ، وكانون الثاني : يناير . وهما شهران في قلب الشتاء بين تشرين الثاني وشباط ولا شهر بينهما ، ويسميها العرب : شهرى قُمَاح .

الباب التاسع

في الآثار العلوية

- أحسن ما قيل في وصف الشمس .
- أبدع ما قيل في مغالبة الشمس السحاب .
- من أحسن ما قيل في وصف الهلال .
- من أحسن ما قيل في الليل وسواده .
- من أحسن ما قيل في الثريا .
- من أحسن ما قيل في طول الليل .
- من أحسن ما قيل في قصر الليل .
- في الليل .
- من أحسن ما جاء في الصبح .

في الآثار العلوية

[١] من أحسن ما قيل في وصف الشمس قول صاحب :

أما تزي الشمس بدت كأنها تُرسُ ذهبُ
كأنها قد رُكبت للناظرين من لهبُ
أشكرُ عنها فلُكا أحسنَ فيما قد وهبُ

[٢] وأبدع ما قيل في مغالبة الشمس السحاب قول ابن المعتز :

تظلّ الشمسُ ترمقُنا بلحظِ مريضٍ مُدنفٍ من خلفِ سترِ
تُحاولُ فتق غيمٍ وهو يَأبى كعينٍ يُريدُ نكاحَ بكرِ

[٣] ومن أحسن ما قيل في وصف الهلال :

[أ] قول كشّاجم :

أهلاً وسهلاً بالهلا لَ بدا لعينِ المُبصرِ
أو ما تراه يلوخُ في جو السماءِ الأخضرِ؟!

[١] الترس : ما كان يُتوقى به في الحرب . وفي الآلة : قطعة من الحديد مسننة كترس الساعة والساقية ونحوها . محدثة . الفلك : المدار يسبح فيه الجرم السماوى وجمعه أفلاك . وشكر الفلك شكر للخالق جلّ وعلا .

[٢] ترمق : يقال : رمقه ببصره : أتبعه بصره يتعهده وينظر إليه ويرقبه . واللحظ : النظر بمؤخر العين من أحد جانبيه . مدنف : يقال : دنف المريض دنفاً : اشتد مرضه وأشفى على الموت فهو دنف . وأدنفه المرض فهو مُدنف . والعين : العاجز عن الجماع لمرض أصابه .

[ب] وقول الآخر :

يا ريمُ قومي الآنَ ثم لتظري وجهَ الهلال وقد بدا في المشرق
كخليفةٍ نظرتُ إلى خلِّ لها خجلًا وقد وافى بكم أزرَق

[جـ] ومن أحاسن السَّرى قوله :

لقد سلَّتُ جيوشُ الفِطر فينا على شهرِ الصَّيام سيوفُ باسٍ
ولاح لنا الهلالُ كشِطَرِ طَوْقٍ على لَبَّاتٍ زرقاءِ اللباسِ

[٤] وقول أبي عاصم البصري في اقتران الهلال بالزُّهرة :

قارنَ الزُّهرةَ الهلالُ وكانا في افتراقٍ في الجوّ من غيرِ هجرةٍ
وإذا ما تقارنا قلتُ : طَوْقٌ من لُجينٍ قد علَّقتُ فيه ذرَّةً

[٤] ومن أحسن ما قيل في الليل وسواده :

[أ] قول بعضهم :

وليلةٌ ليلاءٌ يحـ	كها سوادُ المَفرِقِ
كأنما نجومُها	في مغربٍ أو مَشرِقِ
دراهمٌ قد نُثِرَتْ	على بساطِ أزرَقِ

[٣ / ب] ريم : محبوبة الصنوبرى . والكُم : مدخل اليد ومخرجها من الثوب ، وكُم كلُّ نورٍ : وعاءُه والجمع أكام .

[٣ / جـ] الباس مخففة الهمزة البأس ويراد به الشدة في الحرب ، والعذاب الشديد . واللبات : جمع كَبَّة موضع القلادة من العنق .

[٣ / د] الزُّهرة : أحد كواكب المجموعة الشمسية التسعة ، ثاني كوكب في البعد عن الشمس ، يقع بين عطارد والأرض ، وهو ألمع جرم سماوى باستثناء الشمس والقمر . واللجين : الفضة .

[٤ / أ] المَفرِق من الرأس : حيث يفرق الشعر .

[ب] وقول ابن المعتز :

كَمْ لَيْلَةٍ مَحْمُودَةٍ أُخِيَّتْهَا جَاءَتْ بِأَسْعَدِ طَالِعٍ لَمْ يُنْحَسِ
وَتَوَقَّدَ الْمَرِيخُ بَيْنَ نَجُومِهَا كِبْهَارَةٍ فِي رَوْضَةٍ مِنْ نَرْجِسِ

[ج] وقوله أيضاً :

مَازَلْتُ أَرْقُبُ كُلَّ نَجْمٍ لَامِعٍ وَكَأَنَّ جَنِيَّ فَوْقَ جَمْرٍ مُوقَدٍ
وَرَنَا إِلَى الْفَرْقَدَانِ كَمَا رَكَّتْ زَرْقَاءُ تَنْظُرُ مِنْ نِقَابِ أَسْوَدٍ

[٤] وقوله أيضاً :

نَادَمْتُ إِخْوَانِي بِدَجَلَةِ لَيْلَةٍ وَالنَّجْمِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ مُحَلَّقِ
وَالْبَدْرُ يَضْحَكُ وَجْهَهُ فِي وَجْهِهَا وَالْمَاءُ يَرْقِصُ حَوْلَنَا وَيُصَفِّقُ

[هـ] ولآخر :

إِنَّ دَمْعِي فَوْقَ حُدَى مِثْلُ طَلٍّ فَوْقَ وَرْدٍ
وَنَجُومُ اللَّيْلِ تَحْكِي فِضَّةً فِي لَا زَوْرَدٍ

[٤/ ب] لم يُنْحَسِ : لم يصبه النحس . المَرِيخُ : أحد كواكب المجموعة الشمسية ، يقول القدماء : إنه في السماء الخامسة وهو بالفارسية (بهرام) .
والبهارة : واحدة البهار : جنس زهر من المركبات الأنبوية الزهر ، طيب الرائحة ، ينبت أيام الربيع ، ويقال له : العَرَّارُ .

[٤/ ج] الفرقدان : النجم القطبي وهو قريب من القطب الشمالى ثابت بالموقع تقريباً ، ولذا يهتدى به . وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه .

[٤/ هـ] اللَّازُورْد : معدن يتخذ للحلى ، وأجوده الصافى الشفاف الأزرق الضارب إلى حمرة وخضرة (فارسية) .

[٥] ومن أحسن ما قيل في الثريا :

[أ] قول ابن المعتز :

قُمْ يا خَلِيلِي نَصْطَبِخْ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ يَنْدُو الصُّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَّمْ تَبَدَّتْ مِنْ ثِيَابِ حَدَادٍ

[ب] وقول بعضهم :

كَأَنَّمَا نَجْمُ الثَّرِيَّا لِمَنْ يَرْمُقُهَا وَالظَّلَامُ مُنْطَبِخُ
مَالٍ بِخَيْلٍ يَظَلُّ يَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَلَيْسَ يَفْتَرِقُ

[٦] ومن أحسن ما قيل في طول الليل :

[أ] قول بعضهم :

إِنْ اللَّيَالِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُطَوَّى وَتُبْسَطُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ
فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السَّرُورِ قِصَارُ

[ب] وقول ابن المعتز :

أَقُولُ وَقَدْ طَالَ لَيْلُ الْهَمُومِ وَقَاسَيْتُ حُزْنَ فُؤَادِ سَقِيمِ
عَسَى الشَّمْسُ قَدْ مُسِخَتْ كَوَكَبًا وَقَدْ طَلَعَتْ فِي عِدَادِ النُّجُومِ

[٥] الثريا : مجموعة من النجوم في صورة الثور ، وكلمة النجم علم عليها .

[٦ / أ] مناهل : جمع منهل : وهو المورد . أى الموضع الذى فيه المشرب ،
والمنزل في المفازة على طريق السفار ؛ لأن فيه ماء .

[٦ / ب] الكواكب : في علم الفلك : جرم سماوى يدور حول الشمس ،
ويستضيء بضوئها ، وأشهر الكواكب على حسب قربها من الشمس :
عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشتري ، زحل ، يورانس ، نبتون ،
بلوتون .

[جـ] ومن أبدع ما قاله بعضهم :

عهدي بنا ورداء الوصل يجمعنا والليل أطوله كاللمح بالبصر
فالآن ليلى مُذْ غابوا - فديتهم - ليل الضرير فصبحى غير مُنتظر

[د] ومن أحسن العلوى :

سقى الله عيشاً مضى وانقضى زمان الصبا والهوى والمجون
لياليه تحكى اعتراض الظلام فى الطرف عند ارتداد الجفون
وأيامه مثل لَمَع البروق ويسيق بالقوت لمح العيون

[٧] ومن أحسن ما قيل فى قصر الليل :

ليل المحين مطوى جوانبه مُشمر الذيل منسوب إلى القصر
ما ذاك إلا لأن الصبح ثم بنا فأطلع الشمس من غيظ على القمر

[٨] وقال مؤلف الكتاب فى الليل :

هذه ليلة لها بهجة الطاوس حسنا واللون لون العُدايف
رقد الدهر عندها فانتبهنا وسرقنا حظ السرور الشاف

[٦/ جـ] كَيْلُ المحين - عندما يكون هناك وصل - قصير ، كاللمح

بالبصر ، ومن أجل هذا كان امرؤ القيس يهتف به قائلاً :

يا ليل طُلْ ، يا نوم زُلْ يا صُبْحُ قِفْ لا تَطْلُعْ

وليل الضرير يتساوى مع نهاره ، ومن أجل هذا فهو لا ينتظر صبحاً .

[٦/ د] المجون : يقال : مَجَنُّ مجنوناً ومجانةً : قَلَّ حياؤه فهو ماجن ، والمجون

أيضاً : خلط الجِدُّ بالهزل .

[٧] تَمَّ نَمًا حَرَشَ وأغرى ، وسعى ليوقع فتنة .

[٨] العُدايف : غراب أسحم ضخم كبير الجناحين ، والشعر الطويل الأسود =

٩ [٩] ومن أحسن ما جاء في الصبح :

[أ] قول بعضهم :

ولما رأيت الصبح قد سل سيفه وولّى انهماماً ليله وكواكبه
ولاح احمرّ قلت : قد ذبح الدجى وهذا دمّ قد ضمخ الليل ساكبه

[ب] وقول ابن المعتز :

ياليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثل حُقّ العاج
والصبح يتلو المشتري فكأنه غريانُ يمشى في الدجى بسراج

[ج] وقول ابن طباطبا العلوي :

أكلما نلت في الهوى أملى ليلاً أتاني الصباح بالفوت
صبح كمثل المشيب مطلعه يهجم في نوره على الموت

= الوافر ، والغدافيّ ما كان لونه أسود ، والمنسوب إلى الغداف ، ويقال : ليلة غدافية الإهاب : مظلمة . رقد الدهر : نام عنا وتركنا ننع . الشاق : يشقى ما بأنفسنا من لواعج الشوق .

[٩ / أ] المحاق : (ميمه مثلثة) ما يرى في القمر من نقص في جرمه وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله . وليالي المحاق : ليالي مرور القمر في مرحلة المحاق . والعاج : ناب الفيل ، ولا يسمى غير نابه عاجاً . والمشتري : أكبر الكواكب السيارة .

[٩ / ج] بالفوت : يقال : فات فوتاً وفواتاً الأمر : مضى . ذهب وقت فعله . جاء الصباح ففوت على الليل الجميل .

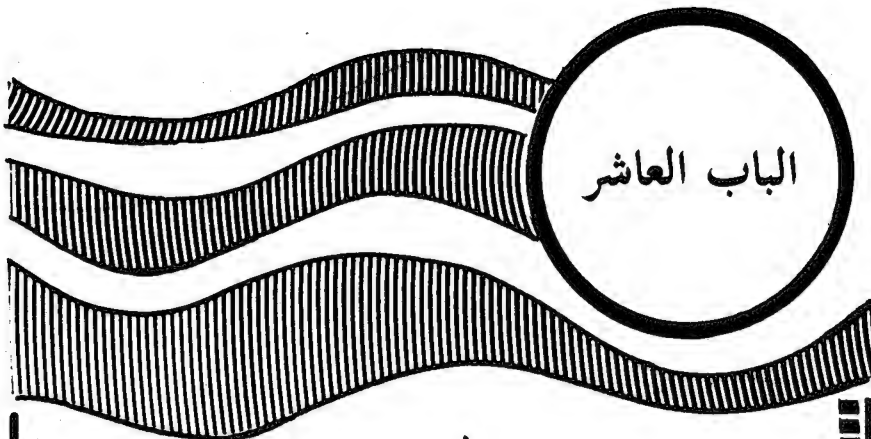
[د] وقول أبي فراس الحمداني :

مَدَدْنَا عَلَيْنَا اللَّيْلَ وَاللَّيْلُ رَاضِعٌ إِلَى أَنْ تَحْلَى رَأْسَهُ بِمَشِيبٍ
وَلَاخَ لَنَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ مَبَادِي نُصُولٍ فِي عِذَارِ خَضِيبٍ



[د / ٩] والليل راضع أى فى أوله ، إلى أن تحلى رأسه بمشيب أى : إلى آخره حتى الصباح .

مَبَادِي نُصُول : يقال نصَلتِ اللحية : خرجت من الخضاب. والعِذار : جانب اللحية . أى الشعر الذى يحاذى الأذن . وما ينبت عليه ذلك الشعر ، والخَدَّ .



الباب العاشر

في الدنيا والدهر

- من أحسن ما قيل في ذمها .
- من أحسن ما قيل في مدحها .
- من أبدع ما جاء في ذمها .
- من قلائد ابن الرومي .
- من مُلح بعضهم في ذم الزمان .

في الدنيا والدهر

[١] من أحسن ما قيل في ذمها :

[أ] قول ابن بسام :

أَفْ مِنْ الدُّنْيَا وَأَيَّامِهَا فَإِنِهَا لِلْحُزَنِ مَخْلُوقَةٌ
غُمُومُهَا لَا تَنْقُضِي سَاعَةً عَنْ مَلِكٍ فِيهَا وَلَا سُوقَةٍ
يَا عَجَبِي مِنْهَا وَمِنْ شَأْنِهَا عُدُوَّةٌ لِلنَّاسِ مَعْشُوقَةٌ

[ب] وقول ابن الرومي :

أَتَذْكُرُ لَيْلَةَ أَلْعَقْتُ فِيهَا وَأَنْتَ وَلِيدُهَا عَسَلًا وَمُرًّا
لَتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ يُمْسِي وَيُصْبِحُ كُلَّهُ حُلُومًا وَمُرًّا

[ج] وما يستحسن لأبي الفرج الكاتب قوله :

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيهَا حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
وَلَا يَغُرُّكُمْ حُسْنُ ابْتِسَامِي فَقُولِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي

[١ / أ] يقول الحصري في زهر الآداب : وكان ابن بسام هذا ، وهو على بن منصور بن بسام مليح المقطعات ، كثير الهجاء خبيثه ، وله حظ في التطويل .
والسُّوقَة : الرعية وأوساط الناس ، وتطلق على الواحد وغيره .

[١ / ب] يقال : أَلْعَقَهُ الْعَسَلُ وغيره . جعله يلعبه ، أى يلحسه بلسانه ،
أو بأصبعه .

[٢] ومن أحسن ما قيل في مدحها قول محمد بن وهب :
وَلَكِنَّا مِنْهَا خَلَقْنَا لغيرهَا وما كنت منه فهو شيء مُحِبَّب

[٣] ومن أبدع ما جاء في ذمها قول ابن المعتز :
عجبا للزمان في حالتيه وبلاء دُفِعَتْ منه إليه
رب يوم بكيث فيه فلما صرث في غيره بكيث عليه

[٤] ومن قلائد ابن الرومي :
دهرٌ علا قَدُرُ الوضع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر برسب فيه لؤلؤه سَفْلا وَيَعْلُو فوقه جيفه
[٥] ومن مُلح بعضهم في ذم الزمان :

نحن والله في زمانٍ غَشُوم لو رأينا في الزمان فرغنا
أصبح الناس فيه من سوء حالٍ حق من مات منهم أن يهنا



[٢] أى : في مدح الدنيا .

[٤] قلائد : جمع قلادة ، ما يجعل في العنق من الحلى والمراد أنها مما يستحق أن يكون كالقلادة على صدور الحسنات .

[٥] الغشوم : الظلم . ويقصد بالزمان الأول العصر الذى يعيشه ، وبالزمان الثانى : التاريخ .

الباب الحادى عشر

فى

الأمكنة والأبنية

- من أحسن ما قيل فى بغداد .
- من أحسن ما سمع فى وصف مصر .
- من أحسن ما قيل فى دمشق .
- من أبدع ما قيل فى همدان .
- من الملع فى مدينة هراة .
- من أملح ما قيل فى بخارى .
- مما يستظرف فى الشاش .
- مما قيل فى الدور والأبنية .
- من أحسن ما قيل فى انتقال الإمارة من يد إلى يد .
- من أحسن ما قيل فى الأوطان .
- من أحسن ما قيل فى متزهات الضياع .
- أحسن ما سمع فى الماء الجارى .
- فى الماء يشق الروض .
- فى الماء يندرج فى البرك .
- فى حوض لبعض الرؤساء .
- أحسن ما قيل فى الحمام .

في الأمكنة والأبنية

[١] من أحسن ما قيل في بغداد :

[أ] سافرتُ أبغى لبغدادٍ وساكنها مثلاً ، قد اخترت شيئاً دونه الياس
هيات بغداد الدنيا بأجمعها عندي وسكان بغداد هم الناس
[ب] وقول الآخر فيها أيضاً :

سقى الله بغداداً من بلدةٍ حوث كل ما لذّ للأنفس
ولكنها مُنيّة الموسرين كما أنها حُسرة المُفلس

[١ / أ] يقال : إنها جنة الأرض ، ومجتمع الرافدين : دجلة والفرات . وواسطة الدنيا ، ومدينة السلام .

وقد ذكر الثعالبي البيتين أيضاً عند ذكر بغداد في « لطائف المعارف »
والقائل هو ابن زريق الكاتب الكوفي كما ذكره ياقوت في معجم البلدان
والثعالبي في ثمار القلوب ٤٠٥ ، ونهاية الأرب (٣٦٠ / ١) وقد جاء الشطر
الثاني من البيت الأول في نهاية الأرب : « مثلاً فحاولت شيئاً دونه الياس » .

[١ / ب] رواهما الثعالبي في الثار (٤٠٥) ، والنويري في نهاية الأرب
(٣٦١ / ١) وقد ورد البيتان هكذا :

سقى الله بغداداً من جنة عدت للورى نزهة الأنفس
على أنها مُنيّة الموسرين ولكنها حسرة الأنفس

[٢] من أحسن ما سمعت في مدح مصر قول كشاجم :

أما ترى مصراً وقد جُمعتُ بها صنوفُ الرياض في مجلسِ
السَّوسَنُ العَضُّ والبَنَفْسُجُ والوَرْدُ وصُفْرُ البَهَارِ والنَّرْجِسِ
كأنها الجنةُ التي جُمعت ما تشتهيه العيونُ والأنفُسُ
كأنما الأرضُ ألبستُ حُللاً من فاخرِ العَبْقَرِيِّ والسُّنْدُسِ

[٣] ومن أحسن ما قيل في دمشق قول الصنوبري :

صَفَتْ دُنْيَا دِمَشْقَ لِقَاطِنِهَا فَلَسْتُ تَرَى بَغِيرَ دِمَشْقَ دُنْيَا
تَفِيضُ جَدَاوِلُ البَلَّورِ فِيهَا خِلَالَ حَدَائِقٍ يُبْتَنُ وَشْيَا
مُكَلَّلَةً فَوَاكِهُنَّ أَبْهَى الـ حَنَاظِرَ فِي نَوَاطِرِنَا وَأَهْيَا
فَمَنْ تَفَاحَةٍ لَمْ تَعُدْ حَدًّا وَمَنْ أُثْرَجَةٍ لَمْ تَعُدْ ثَدْيَا

[٤] ومن أبدع ما قيل في همدان قول القائل :

هَمْدَانُ مُتَلَفَّةُ النَّفُوسِ بِبَرْدِهَا وَالزَّمْهَرِيرُ وَحَرِّهَا مَأْمُونُ
غَلَبِ الشِّتَاءِ مَصِيفُهَا وَرَبِيعُهَا فَكَأَنَّمَا تُمَوِّزُهَا كَانُونُ

[٢] السوسن : جنس نباتات « الأيوس » من الفصيلة السوسنية تسمو إلى نحو ٦٠ سم تنتهي بزهرة أو عدة زهور جذابة يختلف لونها باختلاف النوع ، فمنه الأبيض والأزرق والأصفر والأحمر . والغض : الطرى الحديث من كل شيء . والبنفسج : نبات زهري من جنس « فيولا » يزرع للزينة ولزهوره . عطر الرائحة . والبهار : هو العرار طيب الرائحة . والنرجس من الرياحين ، وزهرته تشبه بها الأعين . العبقري : نسبة إلى واد عبقر . وهو صفة لكل ما بولغ في وصفه ، وما يفوقه شيء . يقال : ثوب عبقرى . والديباج ، والطنافس الشخان . والسُّنْدُس : ضرب من رقيق الديباج .

[٤] همدان : مدينة في إيران جنوب غربى طهران . والزمهرير : شدة البرد =

[٥] ومن الملح في مدينة هَرَاة :

هَرَاةُ أَرْضٌ خِصْبُهَا وَاسِعٌ وَنَبْتُهَا اللَّفَّاحُ وَالتَّرْجَسُ
مَا أَحَدٌ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا يَخْرُجُ إِلَّا بَعْدَ مَا يُفْلَسُ

[٦] ومن أملح ما قيل في بُخَارَى :

أَقَمْنَا فِي بُخَارَى كَارِهِينَا وَنَخْرُجُ - إِنْ خَرَجْنَا - طَائِعِينَ
فَأَخْرَجْنَا إِلَهَ النَّاسِ مِنْهَا فَإِنْ عُذْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ

[٧] ومما يستظرف لأبى الربيع قوله في الشاش :

الشَّاشُ فِي الصَّيْفِ جَنَّةٌ وَمِنْ أَذَى الْحَرِّ جَنَّةٌ
لَكِنِّي يَغْتَرِنِي بِهَا لَدَى الْبَرْدِ جَنَّةٌ

= وتموز : هو الشهر السابع من السنة الشمسية بين حزيران وآب ويسمى يولية
(سريانية) . أما كانون الأول والثاني فهما شهران في قلب الشتاء بين تشرين
الثاني وشباط .

[٥] هَرَاة : مدينة في شمال غربي أفغانستان ينسبون بناءها إلى الاسكندر شهيرة
بجامعها ، فيها تصنع الطنافس ، ويكرر ماء الورد والبيتان لشاعر من أهلها يقال
له : السامى . كما ذكر الثعالبي في لطائف المعارف . واللفاح : كما جاء في
الصحاح : « هذا الذى يُشَمُّ شبيه بالبادنجان إذا اصفر » .

[٦] بُخَارَى : مدينة في جنوب غربي دول الكونولث الجديد بروسيا مكانها
جمهورية (أوزبكستان) شهيرة بمساجدها ومدارسها . بها معامل للسجاد
والمسوجات الحريرية . وفي البيت الثانى تضمين لطيف يوحى بسوء
الإقامة بها كالنار التى يقول أصحابها : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا
ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٧]

[٧] الشَّاش : بلاد في الشمال الشرقى من سمرقند فتحها العرب سنة ٧٥١ م
فنشروا منها الإسلام في آسيا الوسطى . والجَنَّة (بفتح الجيم) الحديقة ، وجنة
الله التى وَعَدَ بها المتقين . والجَنَّة : الوقاية . أما الجَنَّة فهى الجنون .

[٨] ومما قيل في الدور والأبنية :

[أ] ومن المُرُوَّة للفتى ما عاش دَارَ فاخره
فاقنع من الدنيا بها واعمل لدار الآخرة

[ب] وقول البحترى في الجعفرى :

قد تم حصن الجعفرى ولم يكن
في رأس مُشْرِفَةٍ حصاها جوهر
مُحْضَرَّةٌ والغيث ليس بساكب
ملأت جوانبها السماء وعانقت
لَيْتَمَ إلا بالخليفة جعفر
وثرابها مسك يُشَابِعُ بَعْبَر
ومضيئة والليل ليس بمُقمِر
شرفاتها قطع السحاب المطر

[جـ] وقول بعض شعراء الصاحب :

دارٌ على العزِّ والتأييد مَبَناها
فَالْيَمْنُ أَقْبَلَ مَقْرُونًا يَمَنَاهَا
وَالْمَكَارِمُ وَالْعِلْيَاءُ مَعْنَاهَا
وَالْيُسْرُ أَقْبَلَ مَقْرُونًا يُسْرَاهَا
لَمَّا بَنَى النَّاسُ فِي دُنْيَاكَ دُورَهُمْ
بَنِيَتْ فِي دَارِكَ الْغَرَاءِ دُيَاهَا
وَلَوْ رَضِيَتْ مَكَانَ الْفَرْشِ أَغْنَيْنَا
لَمْ تَبْقَ عَيْنٌ لَنَا إِلَّا فَرَشْنَاهَا

[ء] وقال مؤلف الكتاب في القصر العالى :

وقصر مَلِكٍ تَرَى كُلَّ الْجَمَالِ بِهِ
كَأَنَّمَا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ نَزَلَتْ
وطالع السَّعْدِ يَدُو مِنْ جَوَانِبِهِ
إِلَى خُورَزْمٍ تَعْجِيلًا لَصَاحِبِهِ

[٨/ب] الجعفرى : قصر المتوكل : سمي بهذا الاسم نسبة إلى المتوكل الذى يسمى « جعفرًا » وكان هذا القصر بمدينة « سُرَّ من رأى » وقد وقف البحترى يربى القصر وصاحبه بعد أن امتدت سيوف الغدر إليه فى قصيدة أخرى .

[٨/د] خوارزم : بلاد واقعة على نهر أمودريا الأسفل فى تركستان الروسية .
لقب ملوكها : « خوارزمشاه » تحدث عنهم البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية » .

[٩] ومن أحسن ما قيل في انتقال الإمارة من يد إلى يد :

أقام بصحبها لؤم بن سهل وفارق ربّعها كرم الحسين
وكانت جنة فعدت جحيمًا فيا بُعد اختلاف الحالتين !

[١٠] ومن أحسن ما قيل في الأوطان :

[أ] قول ابن الرومي :

وحبّ أوطان الرجال إليهم مآرب قضّاهم الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهد الصبا فيها فحنوا لذلك

[ب] وكان صاحب يُنشد كثيراً :

أكرم أحاك بأرض مولده وأمده من فعلك الحسن
فالعز مطلب وملمس وأعزه ما نيل في الوطن

[جـ] ومن أحسن ذلك قول بعضهم :

إذا نلت في أرض معاشاً وثروة فلا تُكثِرْ منها النزاع إلى الوطن
فما هي إلا بلدة مثل بلدة وخيرهما ما كان عوناً على الزمن

[١١] ومن أحسن ما قيل في مُتَنَزَّهَات الضياع :

شجر مُورِق وظل ظليل وبقاع كأنها كافورة
ورياض تهتز من زهر الرّوض ومن كلّ طرفه باكورة
بين نخل وبين كرم ورماً ن وثفاحه إلى زُعرورة
تتغنى الطيور فيها بلحن منه يكي المهجور والمهجورة

[١٠/ جـ] النزاع : مصدر نازع . يقال : نازعته نفسه إلى أهله : اشتاقت .

ويقول شوقي : « نازعتني إليه في الخلد نفسي » .

[١١] زُعرورة : واحدة الزُعرور : شجر مشمر من فصيلة الورديات يكثر في =

[١٢] أحسن ما سمعت في الماء الجارى قول بعضهم :

وماء على الرضراض يجرى كأنه صفائح تبر قد سبكن جداولاً
كأن بها من شدة الجرى جنة وقد ألستهن الرياح سلاسلًا

[١٣] وقول أبى فراس فى الماء يشق الروض :

حيث التفت رأيت ما ء سائحا ورأيت طلا
والماء يفصل بين زهـ ر الروض فى الشطين فصلا
كبساط وشي جرّدت أيدى القيون عليه نصلا

[١٤] وجلس يوما فى البستان والماء يندرج فى البرك :

[أ] فقال :

انظر إلى زهر الربيع والماء — فى البرك — البديع
وإذا الرياح جرت عليه فى الذهاب أو الرجوع
نثرت على بيض الصفا نوح بيننا بعض الدروع

= مناطق المتوسط ثمره أحمر ، وربما كان أصفر ، وله نوى صلب مستدير يملأ أكثر جوفه فيكون له قليلاً .

[١٢] الرضراض : الحصى الصغار فى مجارى الماء .

[١٣] القيون : جمع قين ، وهو الحداد ثم أطلق على كل صانع . والنصل : حديدة الرمح والسهم والسكين .

[١٤/أ] بيض الصفائح : السيوف ، والدروع : جمع درع : الزردية ، وهى قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس وقاية من السلاح ، (يذكر ويؤنث) .

[ب] وقال أيضاً في ذلك :

كأنما الماء عليه الجسر دَرَجُ بياضٍ حُطَّ فيه سَطْرُ
كأننا لما تَهَيَّا العَبْر أُسْرَةُ موسى يوم شَقَّ البَحْرُ

[١٥] وأنشد بعضهم في حوض لبعض الرؤساء :

[أ] حوض يجودُ بجَوْهَرٍ مَتَسَلِّل سَادِ الجواهرِ كُلِّها بنفاسته
لأَزَالُ عَذْباً جَارِياً ببقاء من هو مثله في جُودِهِ وسَلَّاسَتِهِ

[ب] وقال مؤلف الكتاب :

أيا طيبَ عَيْشِي أَرَى بركةً تَسُوقُ إلى روضِها ماءها
إذا أَنْتَ واجَهْتَهَا في الدُّجَى حَسِبْتَ الكواكبَ حَصْبَاءَها

[١٦] ومن أحسن ما قيل في الحمام :

[أ] قول السرى :

قد أسعدَ الطالبَ مطلوبُ وفازَ بالعزِّ المناجِبُ
فَقُمْ بنا نَتَّعِمْ في مَنْزِل نَعِيمُهُ الذائِبُ مُحْبُوبُ
بيتُ بنته حُكَمَاءُ الورى فَهوَ إلى الحكمة مَنْسُوبُ
مُجَاوِرُ النارِ وَلَكِنَّه يُجاوِرُ الرُّوحَ به الطَّيْبُ
طابَ فلو رُدَّ شابُ امرئٍ لارتدَّ شَبَّاناً به الشَّيْبُ

[١٤/ب] العَبْر : العبور . ودَرَجُ بياض . يقال : أنفذته في درج كنانى : في طيه . والدرج : الورق الذى يكتب فيه (تسمية بالمصدر) .

[١٦/أ] المناجيب : جمع منجاب . يقال : رجل منجَابٌ : يلد النجباء . والمنجباب أيضاً : الحديدية تحرك بها النار .

[ب] وقول مؤلف الكتاب :

وَحَمَامٍ لَهُ حَرَّ الْجَحِيمِ وَلَكِنْ دَابَّهَ رَوْحُ النَّسِيمِ
رَأَيْتُ بِهِ ثَوَابًا فِي عَذَابٍ وَذُقْتُ بِهِ نَعِيمًا فِي جَحِيمِ



الباب الثاني عشر

في

الطعاميات

- من أحسن ما قيل في الإقلال من الطعام .
- أشعر الناس في رأى أحد الصوفية !
- هات أين الكباب ؟ أين القلايا ؟!
- من أحسن ما سمع في الفالودج .
- أحسن ما سمع في الخييص .
- أحسن ما سمع في مَضيرة .
- مما يستحسن للمأمون .
- في ترك التحميد في وسط الأكل .
- أحسن ما قيل في إكرام الضيف .
- أحسن ما قيل في الهشاشة للضيف .
- أحسن ما قيل في إكرام مطية الضيف .
- أحسن ما قيل في ذم البخلاء .
- أملح ما قيل في ذم الطفيل .

في الطعاميات

[١] ومن أحسن ما قيل في الإقلال من الطعام :

[أ] قول ابن العلاف :

لا بَارِكَ اللهُ في الطعام إذا كان هلاكُ النفوس في المِعَدِ
كم دَخَلَتْ أَكْلَةً حَشَا شَرِّهِ فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ من الجَسَدِ

[ب] وقول أبي الفتح البُستِي :

كُلْ قَلِيلاً تَعِشْ طَوِيلاً وَتَسْلَمْ من عَوَادِي الأَسْقَامِ والأَدْوَاءِ
إِنَّمَا يَغْتَدِي الكَرِيمُ لِيَتَّقِيَ وبقَاءُ السَفِيهِ للاغْتِذَاءِ

[٢] سئل أَحَدُ الصُّوفِيَّةِ عن أَشْعَرِ النَّاسِ فقال ابن المعتز لقوله :

رَأَيْتُ بَيوتاً زُيِّنَتْ بِنَارِقِ وَزُيِّنَ من فِيهِنَ بِالْوَشْيِ والطَّرِزِ
فَلَمْ أَرِ دِياجاً وَلَمْ أَرِ سُنْدَساً بِأَحْسَنَ في دَارِ الكَرِيمِ من الخُبْزِ

[١/ أ] حشا : ما دون الحجاب مما يلي البطن كله من الكبد والطحال والكِرَشِ ، والمراد المعدة . والشَّرَّةُ : شديد الحرص على الطعام والاشتواء .

[١/ ب] الأَدْوَاءُ : جمع داء وهو المرض ظاهراً وباطناً . أما الأَسْقَامُ فجمع سقم ، وهو طول المرض . وعَوَادِي الأَسْقَامِ : جمع عادية مؤنث العادى وهو العدو . وعَوَادِي الدهر : نوائبه . والسفیه : من يذر ماله فيما لا ينبغي ، والجاهل .

[٢] التمارق : جمع ثمرقة . وهى الوسادة الصغيرة يُتَكَأُ عليها . والوشى : =

[٣] وأنشد أبو طالب المأموني لنفسه :

وإلى كم يكون بالحلّ أذمي وقليل من البقول يسير ؟
هات .. أين الكباب ؟ أين القلايا ؟ أين رخص الشتاء ؟ أين الفطير ؟
أنا لا أترك البذنجان والبط سيخ والتين أو يكون الثشور
[٤] ومن أحسن ما سمعت في الفالوذج قول السري :

وأحمر مبيض الزجاج كأنه رداء عروس مشرب بحلوق
له في الحشا برد الوصال وطيه وإن كان يلقاه بلون حريق
كان بياض اللوز في جنباته كواكب لاحت في سماء عقيق
[٥] وأحسن ما سمعت في الخبيص قول أبي طالب :

خبيصة في الجام قد قدّمت مدفونة في اللوز والسكر
يأكل من يأكلها حمة بكفه فيها ولم يشعر

= نقش الثوب ، ويكون من كل لون . أما الطرز فهو الزخرفة والتوشية أيضاً .
والدياج : ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير (فارسي معرب) .
والسندس : ضرب من رقيق الدياج .

[٣] الأدم : الإدام وهو كل ما يستمرّ به الخبز . والكباب معروف . أما
القلايا فجمع قلية : وهى ما يقل من الطعام ونحوه ، ومرة تتخذ من اللحوم
والأكباد . رخص الشتاء : الشتاء ما يشوى من لحم وغيره . والرخص :
مانع ولان .

[٤] الفالوذج : وكذلك الفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ،
وتصنع الآن من التشا والماء والسكر (معرب) .
والخلوق : الطيب .

[٥] الخبيص : الحلواء المخبوضة (المخلوطة) من التمر والسمن . وأبو طالب : =

[٤] وحضر جحظة صديقا له فقدم إليه مَضِيرَة : بعصيب فلم توافقه ولم يُتَعَمَّها بما يَدْفَع مَضَرَّتَها فقال :

ولى صاحبٌ لا قَدَسَ اللهَ روحه وكان من الخيراتِ غيرَ قريبٍ
أكلتُ عَصِيًّا عنده في مَضِيرَة فيالك من يومٍ على عَصيبٍ
[٥] ومما يستحسن للمأمون قوله :

قَدِّمَ طعامَكَ وابذُلْهُ لمن دَخَلَ واحلف على من أقرَّ واشكِرْ لمن أَكَلَا
ولا تكن سَابِرِيَّ العَرَضِ محتشما من القليلِ فلست الدهرَ مُحْتَفِلًا

= هو أبو طالب المأمونى من سلالة المأمون بن الرشيد .
والجام : إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها مؤنثة . وقد غلب استعمالها فى قدح الشراب .

[٤] جَحْظَة : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكى . لقب جحظة لجحوظ عينيه . وكان من أقبح خلق الله منظرًا ، وأحسنهم مخبرًا . تجد ترجمته فى معجم الأدباء (٢ : ٢٤١ - ٢٨٢) ، ووفيات الأعيان (١ : ١١٥ - ١١٦) وكانت وفاته سنة ٣٢٦ وقيل سنة ٣٢٤ هـ .

المضيرة : أن يطبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذى قد حذى اللسان حتى ينضج اللحم ، وتختل المضيرة . والعصيب : الرثة تمصَّب بالأمعاء وتشوى . ويوم عصيب : شديد الحر . وفى البيت جناس لطيف بين عصيب وعصيب .

المأمون : هو المأمون العباسى أخو الأمين وابن الرشيد . والسابري : نسبة إلى سابور وهى كورة ببلاد فارس والسابري الرقيق الناعم . والثوب السابري : يستشف ماوراءه . ومحتشما : خجلا . وجاء فى القاموس : ثوب رقيق جيد ، ومنه : عَرَض سَابِرِي لأنه يرغب فيه بأدنى عَرَض .

[٦] وقول الآخر في ترك التحميد في وسط الأكل :

وَحَمْدُ اللَّهِ يَخْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي وَقْتِ الطَّعَامِ
لَأَنَّكَ تَرْجُرُ الْأَضْيَافَ عَنْهُ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ
وَتُؤْذِيهِمْ وَمَا شَبِعُوا بِشَبْعٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكِرَامِ

[٧] وأحسن ما قيل في إكرام الضيف قول المحدث :

وَكُنَّا حَدَمَ الضَّيْفِ إِذَا الضَّيْفُ بِكُمْ يَنْزِلُ
وَكُنُوا عِنْدَهُ الْأَضْيَا فِ وَالضَّيْفُ لَهُ الْمَنْزِلُ

[٨] وقول بعضهم في الهشاشة للضيف :

أَصَاحُكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ لِيَنْزَلَ عِنْدِي وَالْمَحَلَّ جَدِيبُ
وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ تُكْثِرَ الْقَرَى وَلَكِنَّا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

[٩] ومن أحسن ما قيل في إكرام مطية الضيف :

مَطِيَّةُ الضَّيْفِ عِنْدِي مِثْلُ صَاحِبِهَا
لَا أَكْرَمُ الضَّيْفَ حَتَّى أَكْرَمَ الْفَرَسَا

[١٠] ومما قيل في ذمّ البخلاء :

[أ] إِنِّي لِأَصْبُو إِلَى الْبَيْضِ الْحَسَنِ كَمَا

تَصْبُو قَدُورُ أَبِي عَمْرٍو إِلَى الْمَرْقِ

[٨] الهشاشة : انشراح الصدر سروراً بالضيف .

المحلّ : المكان الذي يُحلّ فيه وينزل . وجديب مُجذب يابس لاحتجاز
الماء عنه لا خصب فيه . القرى : ما يقدم للضيف من طعام وشراب .
والخصيب من الرجال : رحب الجنب كثير الخير .

[١٠] أصبو : أميل وأشتاق . والبيت الأول كناية لطيفة عن البخل .. فإن =

الجوع أَرْقَى لَمَّا نَزَلْتُ بِهِ
فَكِدْتُ أَثْلَفَ بَيْنَ الْجُوعِ وَالْأَرْقِ

[ب] وَاآخِر :

جَنَّتْ زَائِرًا فَقَالَ لِي الْبَوَّابُ صَبْرًا فَإِنَّهُ يَتَعَدَّى

[١١] مِنْ أَمْلَحَ مَا قِيلَ فِي ذَمِّ الطُّفْلِيِّ :

[أ] قَوْلُ السَّلْمِيِّ :

لَوْ طُبِحَتْ قِدْرٌ بِمَطْمُورَةٍ بِالشَّامِ أَوْ أَقْصَى حُدُودِ الثُّغُورِ
وَأَنْتَ بِالصَّيْنِ لَوَافَيْتَهَا يَا عَالَمَ الْغَيْبِ بِمَا فِي الْقُدُورِ

[ب] وَقَوْلُ الْآخِرِ :

يَا وَارِثَ التَّطْفِيلِ عَنْ وَالِدٍ أَحْكَمَهُ بِالذُّوقِ وَالرَّحْذِ
تَأْكُلُ أَرْزَاقَ بَنِي آدَمَ هَلْ أَنْتَ مَخْلُوقٌ بِلَا رِزْقٍ ؟!



= اشتياق القدور إلى المرق يدل على شدة بخله حيث يضمن عليها بالطبخ فيها فهي مهملة متروكة !

[١١] الطُّفْلِيُّ : مَنْ يَحْضِرُ الطَّعَامَ دُونَ دَعْوَةٍ ، وَالْقَدْرُ الْمَطْمُورَةُ ، الَّتِي طَمَرَتْ ، وَغَطَّيَتْ وَحَفَرَ لَهَا فِي الْأَرْضِ كَيْ تَخْتَفِيَ عَنِ الْأَعْيُنِ ، فَلَا يَرَاهَا أَوْلَئِكَ الْمَتَطْفِلُونَ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ : الْمَطْمُورَةُ ، مَكَانٌ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ هُمِيَ لِيَطْمَرَ فِيهِ الْبَرُّ وَالْفُؤْلُ وَنَحْوُهُ . لَوَافَيْتَهَا : يَقَالُ : وَافَى الْقَوْمَ : فَاجَأَهُمْ وَأَتَاهُمْ .

الباب الثالث عشر

في

النساء والتشبيب بهن

- من أحسن ما قيل في مدح النساء .
- ومن أحسن ما قيل في ذمهن .
- من أحسن ما قيل في أخلاق النساء .
- من أحسن ما جاء في هذا الباب .
- من أحسن ما قيل في سوء عهدهن .
- من أحسن ما قيل في غزلهن .
- من أحسن ما قيل في شعر المرأة .
- من أحسن ما قال البحتری .
- مما يقطر منه ماء الظرف .
- أحسن ما سمع في هذا المعنى .
- من مُلح إبراهيم بن المهدي .
- من الإفراط في وصف العجيزة .
- من أحسن ما قيل في حديث النساء .
- في هجاء النساء .
- لابن الرومي في كثرة .

في النساء والتشبيب

[١] ومن أحسن ما قيل في مدح النساء :

[أ] قول بعضهم :

إِنَّ النِّسَاءَ رِيَاحِينَ خُلِقْنَ لَكُمْ وَكُلُّكُمْ يَشْتَهِي شَمَّ الرِّيَّاحِينَ !

[ب] وأحسن منه قول الآخر :

فَنَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا وَهُنَّ بَنَاتُهَا وَعِيشُ بَنَى الدُّنْيَا لِقَاءَ بَنَاتِهَا

[٢] ومن أحسن ما قيل في ذمهن :

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ تَبْتَنُ مَعًا مِنْهُنَّ مَرٌّ وَبَعْضُ الْمُرِّ مَأْكُولٌ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيَنَّ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بُدَّ مَفْعُولٌ

[٣] من أحسن ما قيل في أخلاق النساء :

[أ] قول علقمة :

وإن تَسْأَلُونِي بالنِّسَاءِ فَإِنِّي حَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدْهِنٍ نَصِيبٌ

[٢] لا بد مفعول .. على طريقة « خالف تعرف » .

[٣/أ] علقمة الفحل (ت : ٥٩٨) من مداح الأمراء في الجاهلية ، اتصل

بالمناذرة في الحيرة ، وامتدح الحارث الغساني . له ديوان .

وأدواء النساء : أمراضهن الجسمية والنفسية .

[ب] ولأبى تمام في هذا المعنى :

أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً مِنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِمْ خُذُوداً
[٤] وَمِنْ أَحْسَنَ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

إِذَا هُنَّ قَابِلْنَ نَوْرَ الْمَشِيِّ سَبَّ أَدْبَرْنَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ نُورَا
وَإِنْ هُنَّ قَابِلْنَ زُورَ الْخِصَابِ أَعْرَضْنَ عَنْ ذَلِكَ الزُّورِ زُورَا
[٥] ولأبى تمام في سُوءِ عَهْدِهِنَّ :

فَلَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الْعُدْرُ وَخَ لَهَا سَجِيَّةٌ نَفْسٍ كُلِّ غَانِيَةٍ هِنْدُ

= وقد نسب ابن عبد ربه هذين البيتين إلى عبدة بن الطبيب نقلاً عن عمرو ابن العلاء .

[٣/ب] من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .

وقال المرتضى : يقال : إنه أخذ قوله : « أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً »
البيت من الأعشى :

وَأَرَى الْغَوَافِي لَا يُوَاصِلُنِ الَّذِي فَقَدْ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلُنِ الْأُمُرْدَا
ولمنصور الثمري :

كَرِهْنِ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِي لَوْ رَأَيْتَهُ بِهِنِ رَأَيْتِ الطَّرْفَ مِنْهُنِ أَزُورَا
ونحوه قول الآخر :

أَرَى شَيْبَ الرِّجَالِ مِنَ الْغَوَافِي كَمَوْقِعِ شَيْبِهِنِ مِنَ الرِّجَالِ
[٤] نوراً الثانية جمع نَوَارٍ وهى المرأة النفور كما جاء فى القاموس ، وكذلك
النور كصبور ، والزور : الباطل .

[٥] من قصيدة يمدح المأمون ، والأولى أن تكون فى المعتصم كما جاء فى
ديوانه . والسجىة : الطبيعة . والغانية : من استغنت بجمالها عن الزينة .

[٦] من أحسن ما قيل في غزلهن :

[أ] قول المؤمل :

شكوت ما بي إلى هند فما اكرثت
يا قلبها!! أحديد أنت أم حجر؟!
إذا مرضنا أتيناكم نعودكم
وئذبنون فأتاكم ونعتذر

[ب] وقول بعضهم :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي
متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيدة
جا بذكرك فليلمني اللوم
أشبهت أعدائي فصرث أجبههم
إذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا
ما من يهون عليك ممن يكرم

[ج] وقول العباس بن الأحنف :

أحرم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صيرت كأني ذبالة نصبت نضيء للناس وهي تحترق

[٦/ ج] كان العباس بن الأحنف شاعراً ظريفاً ، نشأ في بغداد في حال يسر ورخاء ، لم يصطنع المدح والتكسب بالشعر ، بل توفر على الغزل في محبوبته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيداً موفقاً حتى مات سنة ١٩٢ هـ .

وشتان ما بينه وبين غيره من العاشقين فهو يعيش في حرمان بينما ينال =

[٧] أحسن ما قيل في شَعْرِ المرأة :

[أ] فَرَعَاءُ تَسَحَّبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا

وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ شَعْرٌ أَسْحَمُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ
وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

[٨] وما أحسن ما قال البحترى :

غَدَاةٌ تَشَّتْ لِلدَّوَادِعِ وَسَلَّمَتْ

بِعَيْنِينَ مَوْصُولٍ بِأَجْفَانِهَا السَّخَرُ
تَوَهَّمَتْهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى
كَرَى النَّوْمِ أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْحَمْرُ

[٩] وما يقطر منه ماءُ الظَّرْفِ قولُ كُشَاجِم :

يَا مَنْ لِأَجْفَانٍ قَرِيحُهُ سُهَّدَتْ لِأَجْفَانٍ مَلِيحَةٍ
لَمْ تَتْرِكِ الْمُقْلَ الْمَرِيءَ ضُئَةً فِي جَارِحَةٍ صَحِيحَةٍ

= العاشقون بشعره من عشقوا إنه « شمة » تحرق لتضيء لغيره ! . والذِّبَالَةُ :
الفتيلة التي تُسْرَج .

[٧/أ] قوله : فَرَعَاءُ : غزيرة الشعر . أما « أسحم » فيقال : سَحِمَ يَسْحَمُ
سَحْمًا وَسَحَامًا وَسُحْمَةً : اسودَّ فهو أسحم ، وهما سحماء .

[٨] أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى .. الْكَرَى النَّوْمُ .. وَأَلْوَى بِأَجْفَانِهَا : أَمَالَهَا .
وَالْأَعْطَافُ : جَمْعُ عِطْفٍ وَعِطْفُ كُلِّ شَيْءٍ : جَانِبُهُ ، وَهُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ لَدُنْ
رَأْسِهِ إِلَى وَرَكَه . وَيُقَالُ : ثَنَى عِطْفَهُ : أَعْرَضَ . وَمَرَّ يَنْظُرُ فِي عِطْفِهِ : مَرَّ
مَعْجَبًا بِنَفْسِهِ .

[٩] سُهَّدَتْ : اعترأها الشُّهَادُ وَالْأَرْقُ وَالسَّهَرُ . وَالْأَجْفَانُ الْقَرِيحَةُ : الْجَرِيحَةُ =

[١٠] ولم أسمع في هذا المعنى أحسن من :

[أ] قول أبي العشائر في المذکور :

للعبد مسألة إليك جوابها إن كنت تذكره فهذا وقته
ما بال ريقك ليس ملحاً طعمه ويزيدني عطشاً إذا ما ذقته ؟ !
[ب] وقول مؤلف الكتاب :

تغرّ كمثلي البرق حُسنُ بريقه يُشفي العليل المستهائم بريقه
قد بثّ أَلِثْمه وأرتشف المني من ثغره وعقيقه ورحيقه
[جـ] وقول أبي نواس :

يا قمرأً أبصرتُ في مائِم يندبُ شجواً بين أثراب
يكي فيلقى الدّرّ من نرجس ويلطم الورد بعُناب

= مما فعل بها السهر والأرق . والمقل : جمع مُقْلَة : وهي العين كلها . ويقال :
عين مريضة : فيها فتور محب . والجراحة : العضو العامل من أعضاء الجسم
كاليد والرجل .

[١٠ / أ] المسألة : السؤال .

ويذكرني السؤال الذي يطرحه الشاعر بذلك الحوار الذي دار بين ليلى
وقيس إذ تقول له :
هل ارتويت يا قيس ؟ فيقول :
ارتويت ثم ظممت !

[١٠ / ب] عقيقه : العقيق حجر كريم أحمر تشبه به الشفاه .. أما الرحيق
فيراد به الريق .. والرحيق : ضرب من الطيب .. ورحيق الأزهار ما تفرزه
لاجتذاب النحل وغيره .

[١٠ / جـ] يندب شجواً : الشّجو : الهم والحزن . ويقال : بكى فلان =

[٤] وقول أبي الفرج :

قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظُهَا
أَلَمْ يَكُنْ لِقَتِيلِ الْحُبِّ مِنْ قَوْدٍ ؟!
وَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

= شجوه . والأتراب : جمع تَرَب : المماثل في السن ، وأكثر ما يستعمل في المؤنث .

والدَّر : جمع دُرَّة ، وهى اللؤلؤة العظيمة الكبيرة ؛ ويراد بالدر : الدموع التى تشبهه . والعُنَاب : ثمر شجر شائك من الفصيلة السُّدْرِيَّة ، وهو أحمر حلو لذيد الطعم على شكل ثمرة النبق ، ويشبهون أطراف الأصابع بالعُنَاب ، والخذ بالورد .

[١٠ / د] القائل : هو أبو الفرج الوأواء ، والبيت من ديوانه (٣٦١) طبع مصر ١٨٩٨ م . واللواحظ : العيون ، واللحظ واللحظان : النظر بمؤخر العين من أحد جانبيه . فهو لاحظ والجمع لواحظ والقود (بفتح الواو) : القصاص . وهو يريد في البيت الثانى أن يقول : إنها بكت بدموع تشبه اللؤلؤ من العيون التى تشبه النرجس ، فسقت الدموع خدودًا تشبه الورد ، وعضت على أناملها التى تشبه العناب بأسنانها التى تشبه البرد ، وهو حب الغمام . وقد ساق ابن أبى الإصبع فى تحرير التعبير البيت الثانى فى باب التشبيه حيث قال : وشاهد تشبيه خمسة بخمسة : قول أبى الفرج الوأواء (بسيط) فأمرت لؤلؤاً .. إلخ ثم قال بعد أن ساق بيت أبى نواس السابق :

تبكى فتذرى الطل من نرجس وتمسح الورد بعناب

قال : وعندى أن بيت الوأواء هو عين بيت أبى نواس ، وإنما حصلت الزيادة لاتساع الوزن ، فثبت الفضل لأبى نواس بالسبق .

[١١] ومن مُلَح إبراهيم بن المهدي قوله :

أنت تُفَاحَتِي وفِيكَ مع التـ فاح رمانتان في غُصْنِ بَان
وإذا كنتِ لِي وفِيكَ الذي فيـ ك فما حاجتي إلى البستان ؟!
[ب] وقول بعض المحدثين :

هي البدر إلا أن فيها لحسها رقائقُ لَيْسَتْ في هلال ولا بَدْرِ
وتنظرُ في وجهه القَبِيح بحسها فتكسوه حُسْنًا باقيًا آخر الدهر
[١٢] ومن أحسن ما قيل في الثدى :

[أ] قول بعضهم :

كأن الثَدْيَ إذا ما بدتْ وزانَ العقودُ بهنَّ التُّحورَا
حِقَاقُ من الدَّر مكنونةٌ يَسْعَنَ من الدَّر شيئاً يَسِيرَا
[ب] وقال ابن الرومي وأبدع :

صدورٌ فوقهنَّ حِقَاقُ عاجٍ ودُرُّ زانه حُسْنُ اتِّسَاقٍ
يقول القائلون إذا رَأَوْهُ: أهذا الحليُّ من تلك الحِقَاقِ ؟!

[١٢/أ] النحور : جمع نحر . أعلى الصدر . والحِقَاق جمع حُق وهو وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما .

[١٢/ب] ابن الرومي : هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريح الرومي ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ وعاش فيها وأجاد الشعر ولاسيما الوصف والهجاء ، وكان كثير التطير والتشاؤم مات سنة ٢٨٣ هـ .

[جـ] وكان الأستاذ الطّبري يطربُّ على قول السّرى :

ومن وراء سُحُوف الرّقم شمسٌ ضُحى

تُجولُ في جُنح ليلٍ مُظلمٍ داجي

مقدودةٌ خرطتْ أيدي الشباب لها

حُقّين - دون مجال العقد - من عاج

[٤] ومما يستحسن في وصف الثدى قول المهلبى الوزير :

أقاتلتى بانكسار الجفونِ ومستوفزين على مُعصِرِ

كحُقّين من لبّ كافورةٍ برأسيهما نُقطًا غَبرِ

[١٣] ومن الإفراط في وصف العجيزة قول المؤمل :

مَنْ رَأَى مِثْلَ غَادِقِ ثُشْبِهِ الْبَدْرَ إِذْ بَدَا

تُدْخِلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تُدْخِلُ أَرْدَافَهَا غَدَا

[١٢/ جـ] السُّجُوف : جمع سِجْف : أحد البترين المقرونين بينهما فرجة .

والرّقم : كل ثوب يرّقم : أى وُشِيَ برقم معلوم حتى صار عَلَمًا ، وضرب مخطط من الوشى . ومن وراء هذه السجوف تبدو المحبوبة بوجهها الجميل وكأنها شمس الضحى ولكنها تجول وسط ليل داج من شُغرها الأسود الفاحم ! وقوله : مقدودة : أى ذات قد وهو القامة أو القَوام ..

وكما يقولون : « خراط الصّبا قد بدت آثاره عليها » . فإن شاعرنا يقول :

خرطتْ أيدي الشباب لها حقين (نهدين) خارج مجال العقد من عاج .

ومستوفزين : ثديين . ويقال : استوفز أى جلس على هيئة كأنه يريد

القيام ، وفى قعدته : انتصب فيها غير مطمئن لترجرجه والمُعصِر : الفتاة التى بلغت شبابها .

[١٣] العجيزة : المؤخرة . والأرداف : جمع رِذَف وهو العَجْزُ .

[١٤] ومن أحاسن ما قيل في حديث النساء :

[أ] وحديثها كالقَطْرِ يَسْمَعُهُ راعى سنين تَتَابَعَتْ جَدْبًا
فأصاخ يرجو أن يكون حيًّا ويقول من فَرِحَ أَيًّا رَبًّا

[ب] ويستحسن جدًا لبشار قوله :

وكان رَجَعَ حديثها قطع الرياض كسِين زَهْرًا
وكان تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا

[جـ] وللبخترى :

ولما التقينا واللوا مَوَعِدَ لنا تعجب رَأَى الدُرَّ مِنَّا ولا قِطْه
فَمِنْ لَوْلُو تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطْه

[١٤ / ب] جاء في الجزء الرابع من ديوان بشار « ملحقات » : وأنشد له في
الأغاني جزء (٣) وبعضها في زهر الآداب (ص ١٦ جزء ١) :

يا ليلتي تزداد نُكْرا	من حب من أحبيت بكرا
حوراء إن نظرت إليـ	ك سقتك بالعنين خمرا
وكان رجع حديثها	قطع الرياض كسِين زهرا
وكان تحت لسانها	هاروت ينفث فيه سحرا

ورجح الحديث : الجواب .. والرد .. وشبه كلامها بقطع الرياض في حسن
منظرها وزادها ظهور الثور فوقها حسناً للناظر والمستشيق . ولقد شبه في
البيت الثانى تأثير كلامها فى نفس سامعها تأثيراً جاذباً لنفسه إلى طاعتها بتأثير
السحر ، وهو مأخوذ من قول النبى ﷺ « إن من البيان لسحرا » . ولما
اشتهر هاروت بتمام المقدرة على السحر بالغ فى السحر المشبه به بأنه سحر
هاروت ففى كلامه مكنية ، وذكر هاروت تخيل . [الجزء الرابع من الديوان
(ص ٥٦) .

[١٤ / جـ] البخترى : هو أبو إسحق إبراهيم بن عبد الله البخترى ، وكان =

[١٥] قول دُعبل في هجاء النساء :

صُدْغَاكَ قَدْ شَمَطَا وَنَحْرُكَ بَارِزٌ
وَالصَّدْرُ مِنْكَ كَجُوجُؤِ الطَّنْبُورِ
يَا مَنْ مُعَانِقُهَا يَبِيتُ كَأَنَّهُ
فِي مَخْبَسٍ صَغْبٍ وَفِي سَاجُورٍ !!
قَبْلَتْهَا فَوَجَدْتُ لَدَغَةً رِيْقَهَا
قَوِّقَ اللِّسَانِ كَلْدَغَةَ الزُّبُورِ

[١٦] ولابن الرومي في كثرة :

فَقَدْ تُكِّ يا كَثِيرَةٌ كُلُّ فَقْدٍ وَذُقْتَ الْمَوْتَ أَوَّلَ مَنْ يَمُوتُ
فَقَدْ أُوتِيتِ رُحْبَ فِيمَ وَ كَأَنَّكَ مِنْ كِلَا طَرَفِكَ حَوْتَ

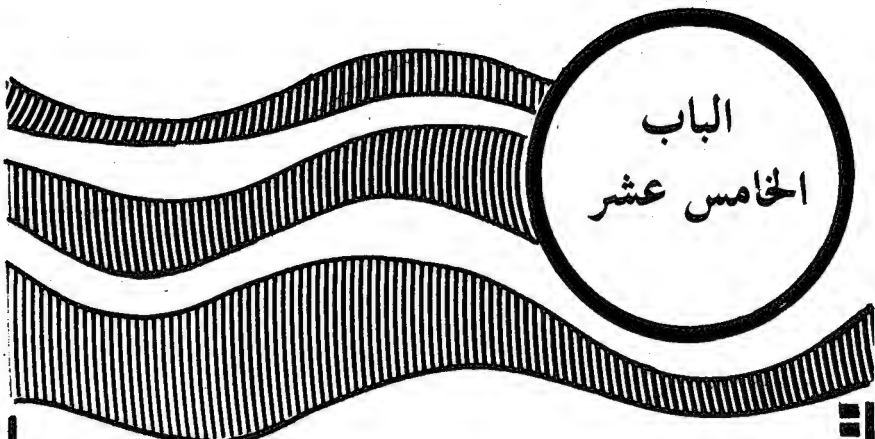
= البختری جيد الروية والبدیة فی نظمه ونثره جيد التصنیف ملیح التألیف — كما
يقول الحصری فی زهر الآداب .

[١٥] دُعبل بن علی بن رزین یمنی من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصباً لقومه علی
العدنانیة ، هجاء خبیث اللسان ، لا یسلم منه صغیر ولا کبیر حتی الخلفاء ؛
فعاش مکروهاً مرهوباً حتی توفی سنة ٢٤٦ هـ لِنَزَعَتِهِ الجریئة فی وجه الدولة ،
وبتعصبه للطالبيين ، وبميله إلى الإرهاب والتخويف ، یغلب علی شعره الهجاء
والمديح .

وقوله : قد شَمَطَا : یقال : شَمَطَ الشَّيْءُ : اختلط بغيره ، وشَمَطَ شعره :
اختلط سواده ببياضه ، والنحر : أعلى الصدر . والجُوجُؤُ : مجتمع رعووس
عظام الصدر : وصدر السفينة ، والطنبور : آلة من آلات اللّهُو والطرب :
ذات عنق وأوتار . والساجور : قلادة توضع فی عنق الكلب . والرَّحْبُ :
الواسع .

[١٦] وضعنا ثلاث نقط مكان الكلمة المحذوفة لفحشها ! رُحْبُ : سعة .

وأغفلنا الباب الرابع عشر .



الباب الخامس عشر

في الشباب والشيب

- أحسن ما قيل في مدح الشباب .
- من أحسن ما قيل في حلول الشيب قبل وقته .
- من أبلغ ما قيل في التأسف على الشباب .
- مما قيل في التأسف على الشعر الأسود .
- مما قيل في كراهة النساء الشيب .
- في ذم الشيب .
- في قص الشيب .
- في إنذار الشيب بالموت .
- في الإشفاق من الشيب .
- في الردّ على عائب الشيب .
- في آثار الكبر .

في الشباب والشيب

[١] أحسن ما قيل في مدح الشباب قول هارون بن المنجم :
 أَعْطِ الشَّبَابَ نَصِيحَهُ مَا دَمَتْ تُعَذِّرُ بِالشَّبَابِ
 وَانْعَمْ بِأَيَّامِ الصَّبَا وَاحْلَعْ عِذَارَكَ فِي التَّصَابِي !
 [٢] ومن أحسن ما قيل في حلول الشيب قبل وقته :

[أ] قول ابن المعتز :

صَدَّتْ شَرِينُ وَأَزْمَعَتْ هَجْرِي وَصَعَتْ ضَمَائِرُهَا إِلَى الْغَدْرِ
 قَالَتْ : كَبُرَتْ وَشِبَتْ ! قُلْتُ لَهَا : هَذَا غِبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ
 [ب] ولغيره :

أَفَى أَرْبَعٍ مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ عِشْتُهَا طُلُوعُ مَشِيبٍ إِنْ ذَا لَعَجِيبُ
 وَلَا غَزَوَ لَوْ لَأَقَى الَّذِي قَدْ لَقِيْتَهُ غَرَابٌ لَقَدْ كَانَ الْغَرَابُ يَشِيبُ
 [٣] ومن أبلغ ما قيل في التأسف على الشباب قول منصور :

[١] واخلع عذارك : قال صاحب أساس البلاغة : ومن المجاز خلع فلان رسنه
 وعذاره فعدا على الناس بشرًّا .

[٢/أ] صفا صغوا : مال . ومن الكنايات اللطيفة : غبار وقائع الدهر . عن
 الشيب .

[٢/ب] لقد كان الغراب يشيب . وقد قالوا : إن الغراب لا يشيب .

[٣] هو منصور التمرى من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل بن يحيى ، =

ما تنقضى حسرة منى ولا جَزَعُ
 إذا ذَكَرْتُ شبابًا ليس يُؤْتَجَعُ
 ما كُنْتُ أوفى شبابي كُنْهَ غِرَّتِه
 حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع !
 أبكى شبابًا سُلْبناه وكان ! وما
 يوفى بقيمته الدنيا وما تُسَعُ
 [٤] ومما قيل في التأسف على الشعر الأسود :

[أ] وكنت إذا سَرَحْتُ بالمشطِ عَارِضِي
 رأيتُ سحيقَ المسكِ بين يديّ
 فصرْتُ إذا حَلَلْتُهُ بأصابعي
 تَنَاطَرَ كَافُورٌ بَيْنَ عَلِيٍّ
 [ب] ومن أحاسن بعضهم :

وَأَنكَرْتُ شَمْسَ الشَّيْبِ فِي لَيْلٍ لَمْتِي
 لَعَمْرُكَ لَيْلِي كَانَ أَحْسَنَ مِنْ شَمْسِي

= واستصحبه ، ثم وصله بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات الثلاثة .
 وعلق أبو هلال العسكري في ديوان المعاني بقوله : قوله : (فإذا الدنيا له
 تبع) من أشرف كلام وأنبله وأجمعه وأوجزه فقال : نعم لا خير في دنيا لا يخطر
 فيها يبرد الشباب .

[٤ / أ] سرحت بالمشط عارضى : العارض : جانب الوجه ، وصفحة الخد .
 وهما عارضان ؛ يقال : هو خفيف شعر العارضين .

[٤ / ب] ليل لمتى : اللمة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن ، والجمع : لم =

كَأَنَّ الصَّبَا وَالشَّيْبَ يَطْمِسُ نَوْرَهُ
عُرُوسُ أَنَاسٍ مَاتَ فِي لَيْلَةِ الْعُرْسِ !

[٥] وَمَا قِيلَ فِي كِرَاهَةِ النِّسَاءِ الشَّيْبَ :

[أ] رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بَعَارِضِي
فَأَعْرَضْنِي عَنِّي بِالْحُدُودِ التَّوَاضِعِ
وَكُنْ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي بِي
جَرَيْنَ فَقَرَعَنَ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ

[ب] وَقَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَزِ :

تَوَلَّى الْجَهْلُ وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ وَلَا حَ الشَّيْبُ وَافْتَضَحَ الْخِضَابُ
لَقَدْ أَبْغَضْتُ نَفْسِي فِي مَشْيِي فَكَيْفَ تُجِبُّنِي الْخُودُ الْكَعَابُ ؟ !

[جـ] وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ صَغِيرَةً مَسَحَتْ عِذَارِي بِالْخِمَارِ
قَالَتْ : غُبَارٌ قَدْ عَلَا لَكِ ! فَقُلْتُ : ذَا غَيْرُ الْغُبَارِ
هَذَا الَّذِي نَقَلَ الْمُلُوكُ إِلَى الْقُبُورِ مِنَ الدِّيَارِ !

= وِلَامٌ . وَذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي دِيْوَانِهِ وَقَاثِلُهُمَا أَبُو أَحْمَدَ . مَعَ
اِخْتِلَافٍ بَسِيطٍ .

[٥ / أ] الْغَوَانِي : جَمْعُ غَانِيَةٍ وَهِيَ الَّتِي اسْتَغْنَتْ بِجَمَالِهَا عَنِ الزَّيْنَةِ .
وَالْكُؤَى : جَمْعُ كُؤَةٍ : الْخَرَقُ فِي الْجِدَارِ يَنْفِذُ مِنْهُ الْهَوَاءُ وَالضَّوْءُ ،
وَالْمَحَاجِرُ : جَمْعُ مَحْجَرٍ . مَا أَحَاطَ بِالْعَيْنِ . وَذَلِكَ بِسَبَبِ حَرَصِهِمْ عَلَى رُؤْيَيْهِ .
[٥ / ب] تَوَلَّى الْجَهْلُ : مَضَى زَمَنُ الشَّبَابِ . وَالْخُودُ : الشَّابَةُ النَّاعِمَةُ الْحَسَنَةُ
الْحَلْقَى ، وَجَمْعُهَا خُودٌ ، وَخُودَاتٌ . وَالْكَعَابُ : هِيَ الَّتِي كَعَبَ وَنَهَدَ وَبَرَزَ
نَدْيَاهَا .

[د] وقول ابن المعتز :

يا ذا الذى كتم المشيب وقد فشا
قل لى متى سقط الغراب عليك ؟!

[هـ] وقول صاحب :

ما بال وسنى عرض شى عند شيبى للأذى
تقول : بعداً بعداً ما كانت تقول : حبذا
وكنت كحل عينها فصرث فيها كالقذى

[٦] وقول أبى الفتح البستي فى ذم الشيب :

دغ دُموعى يسَلَن سَيْلاً بَدَارَا وضلوعى يَصْلَيْن بِالْوَجْدِ نَارَا
قد أعاد الأسى نهارى ليلاً مُدَّ أعاد المشيب ليلى نهارا

[٧] ومن أحسن ما قيل فى قصّ الشيب :

[أ] قول البحترى :

شعرات أقصَّهن ويرجع من رُجوع السَّهام فى الأغراض

[ب] وقول ابن المعتز :

ألست ترى شيباً برأسى شاملاً
دنت حيلتى عنه وضاق به ذرعى
كأنَّ المقاريض التى تَعْتَوِرُهُ
مناقيرُ طيرٍ ينتقى سُنْبُلُ الزَّرْعِ

[٦] بَدَارَا : سِرَاعًا .

[٧/ أ] الأغراض جمع غرض وهو الهدف الذى يُرمى إليه .

[جـ] وقال الأمير أبو الفضل الميكالى :

أحسن أيام الفتى ما قيل عنها : حَدَثَ
شبابه من فضة والشيب فيها حَبَثَ

[٨] ومما قيل فى إنذار الشيب بالموت :

[أ] قول محمود :

الشيبُ إحدى الموتَين تقدّمت إحداهما وتأخرتُ أُخرَاهما
وكأنّ من حلّت به صُعْرَاهُما يوماً فقد حلّت به كُبرَاهُما

[ب] وقال ابن المعتز :

ياخاضب الشيب بالحِثاء تَسْتُرُهُ سَلِ الْإِلَآءِ سَتْرًا مِنَ النَّارِ
لن يرحل الشيب عن دارٍ يُلْمُ بها حتى يُرَحَلَ عنها صاحبُ الدَّارِ

[جـ] وقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

تضاحكت لما رأْتُ شيباً تلالاً غُرُرُهُ
وقد رأْتُ دُمعى على خدى تجرى دُرُرُهُ
قلت لها : لا تعجبنى أنيبك عندي خبرُهُ
هذا غمامٌ للردى ودمع عيني مَطَرُهُ

[د] وقال غيره :

من شاب شعره مات وهو حَيٌّ يمشى على الأرض مشى هَالِكِ

[٧/جـ] الحَبَثُ : صدأ الحديد . ما ينفيه الكبير من الحديد ونحوه عند إحماؤه وطرقه .

[هـ] وقول مؤلف الكتاب :

أبا منصور المغرورَ أَقْصِرْ وَأَبْصِرْ طُرُقَ أَصْحَابِ الرَّشَادِ
أَلَسْتَ تَرَى نَجُومَ الشَّيْبِ لَاحَتْ وَشَيْبَ الْمَرْءِ عُتُونُ الْفَسَادِ

[٩] من أحسن ما قيل في الإشفاق من الشيب قول مسلم :

الشَّيْبُ كُرَّةٌ وَكُرَّةٌ أَنْ يُفَارِقَنِي فَأَعْجَبَ لَشَيْءٍ عَلَى الْبُعْضَاءِ مَوْدُودِ
يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا بِمَفْقُودِ

[ب] وقول أبي الفتح البستي في مثله :

يَا شَيْتِي دُومِي وَلَا تَتَرَحَّلِي وَتَيَقَّنِي أَنِّي بَوْصَلِكَ مُوَلَّعُ
قَدْ كُنْتُ أَجْزَعُ مِنْ حُلُولِكَ مَرَّةً فَلَا أَنْ مِنْ حَذَرِ ارْتِجَاعِكَ أَجْزَعُ
لَا يُرْغَكِ الْمَشِيبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ لَهُ فَالشَّيْبُ زِينَةٌ وَوَقَارُ
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكْتُ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

[١٠] من أحسن ما قيل في الرد على عائب الشيب :

[أ] وَعَائِبُ عَابَنِي بِشَيْبٍ لَمْ يَعُدْ لِمَا أَقَامَ وَقْتَهُ
فَقُلْ لِمَنْ عَابَنِي سِفَاهًا : يَا عَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلْعَتَهُ !

[] ولابن المعتز :

وَقَالُوا : التَّصُولُ مَشِيبٌ جَدِيدُ فَقُلْتُ : الْخِضَابُ شَبَابٌ جَدِيدُ
إِسَاءَةٌ هَذَا بِإِحْسَانٍ ذَا فَإِنْ عَادَ هَذَا فَهَذَا يَعُودُ !

[٩/ جـ] قائل هذين البيتين كما ذكره أبو هلال العسكري في ديوانه : هو أبو عبد الله الأسباطي . ولكن جاء في حماسة الشجري أن البيتين لعلی بن الجهم .
[١٠/ ب] التَّصُولُ : يقال : نصل الشعر أو الثوب : زال عنه خضابه أو لونه

[جـ] وظرف ابن الرومى فى قوله :

يَأْيُهَا الرَّجُلُ الْمَسْوَدُ شَعْرَهُ كَيْمَا يُعَدُّ بِهِ مِنَ الشُّبَّانِ
أَقْصِرْ فَلَوْ سَوَّدَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ بَيْضَاءَ مَا عُدَّتْ مِنَ الْغُرَبَانِ !
[د] وله أيضاً :

بَكَيْتُ مِنَ الشَّيْبِ حَتَّى ضَجِرْتُ وَقَدْ دَبَّ فِي عَارِضِي وَاشْتَعَلَ
وَسَوْدَ وَجْهِى فَسَوَّدَتْهُ فَعَلْتُ بِهِ مِثْلَ مَا قَدْ فَعَلَ
[١١] ولم أر فى آثار الكبر أحسنَ من :

[أ] قول ابن المعتز :

لَا تَلَمْ بِالْمَدَامِ مَطْلَى وَحْسَى لَيْسَ يَوْمِي يَا صَاحِبِي مِثْلَ أَمْسَى
لَا تَسْأَلْنِي وَسَلْ مَشِيئِي عَنِّي مَذَعَرْتُ الْخُمْسِينَ أَنْكَرْتُ نَفْسِي
[ب] وقول بعضهم :

الْمَرْءُ مِثْلُ هَالَالٍ حِينَ أَبْصَرَهُ يَدُو لِعَيْنِي ضَعِيفًا ثُمَّ يَتَّسِقُ
يَزِدُّهُ حَتَّى إِذَا تَمَّ فِي الْإِشْرَاقِ أَغْقَبَهُ كَرُّ الْجَدِيدِينَ نَقْصًا ثُمَّ يَنْمَحِقُ
[جـ] وظرف من قال :

لَمْ أُخْضِبِ الشَّيْبَ لِلْعَوَانِي لِأَتُبْغِيَ عِنْدَهَا الْوَدَادَا
لَكِنْ خِضَابِي عَلَى شَبَابِي لِبَسُّهُ بَعْدَهُ حَدَادَا



[١٠ / د] سَوْدَ وَجْهِى : أَخْجَلْنِي وَعَابَنِي ، فَسَوَّدَنِي : فَطْلَيْتُهُ بِالسَّوَادِ .

الباب السادس عشر

في مكارم الأخلاق وفي المدائح

- أمدح بيت للعرب .
- من أحسن ما قيل في الجود .
- في الشجاعة .
- في مدح الشجاع .
- في مدح الحلم .
- في ترك الحلم بعد الإعذار .
- من أحسن ما سمع في التواضع .
- من أحسن ما سمع في التآني .
- من أحسن ما سمع في الصدق .
- من أحسن ما سمع في الذنب والعفو .
- من أحسن ما سمع في القناعة .
- من أحسن ما سمع في ذم القناعة .
- في منجم .
- في الحياء .
- في الرفق .
- في المداراة .
- في علو الهمة .
- في التقوى .
- في كتمان السر .
- في التوسط في الأمور .
- في الهيبة .
- في مدح الوالي .
- في طيب فصاد .
- في طيب .
- في وصف مُزَيْن .

في مكارم الأخلاق وفي المدائح

[١] قال بعض الأئمة أمدح بيت للعرب :

[أ] قول زهير :

تراه إذا ما جئته مُتَهَلِّلًا كأنك تُعْطِيهِ الذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

[ب] وكان الأستاذ الطبري يقول أمدح بيت للبحتری قوله :

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً فشأنك انحدارٌ وارتفاعٌ
كذاك الشمسُ تبعدُ أن تُسَامَى ويدنو الضوءُ منها والشُعاعُ

[١ / أ] زهير : هو زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رباح المزني ، أحد فحول شعراء الجاهلية الأربعة وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ، ثم هو أعفهم قولاً ، وأكثرهم تهدياً لشعره . ومات قبل مبعث النبي ﷺ بسنة . وشيبه به ما جاء في ديوان المعاني للعسكري قوله : ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه قول أبي تمام في المعتصم :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليثق الله سائله

وعاب بعضهم بيت زهير فقال : جعل الممدوح فرحاً بعرض يناله ، وليس هذا شأن الكبير الهمة .

[١ / ب] البيت كما في ديوان البحتری :

دنوت تواضعاً وبعدت قدراً فشأنك انحدارٌ وارتفاعٌ

[ج] وللوأواء :

من قاس جودك بالعمام فما أنصف في الحكم بين شكّلين
أنت إذا جدت ضاحكاً أبداً وهو إذا جاد دامع العين

[د] قال المتنبى :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

[هـ] وقوله أيضاً :

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظ العنان بأتمل ما حفظها الأشياء من عاداتها
ذكر الأنام لساكان قصيدة كنت البديع الفرد من أبياتها

[١/ ج] شكّلين : جوده والعمام .

[١/ د] هذا آخر بيت من قصيدته التي قالها يرثى والده سيف الدولة وقد توفيت بيمّا فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة ، وأنشده إياها في جمادى الآخرة من السنة .

ويقول لسيف الدولة في هذا البيت : إن فضلت الناس وأنت واحد منهم ، فلا عجب ، فقد يفضل بعض الشيء جملة كالمسك ، وهو بعض دم الغزال ، وقد فضله فضلاً كثيراً .

[١/ هـ] جاءت هذه الأبيات ضمن قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران . ويقول في البيت الأول : لسنا نتعجب من كثرة عطاياه ، وإنما نتعجب كيف سلّمت من بذله وتفريقه إلى وقت ما وهبها ، يُريد أنه ليس من عادته إمساك شيء من ماله .

وقوله في البيت الثانى : من عاداتها . يريد : حفظ العنان . ويروى « حفظ العنان » على الماضى . يتعجب منه عجباً كيف حفظ العنان بأتمل ما عاداتها تحفظ شيئاً .

[و] وقوله أيضاً :

الناس — ما لم يَرَوْك — أشباهُ والدهرُ لفظٌ وأنتَ معناه
والجودُ عينٌ وأنتَ ناظرُها والناسُ باعٌ وأنتَ يُمناه
إن كان فيما نراه من كرم فيك مزيدٌ فزادك الله
[ز] وليس لقلول كُشاجم شبيه :

شخصَ الأنامِ إلى كمالكِ فاستعدَّ من شرِّ أعينهم بعينٍ واحدٍ
[٢] ومن أحسن ما قيل في الجود :

[أ] قول البحتري :

ملك أطاعته العَلا فأطاعها في ماله وعصى بها عُدَّاله
[ب] وقوله أيضاً :

ولستُ أدري أيَّ آياته أحسن إن عدَّدها الشعرُ ؟!
أوجهه الواضح أم حلُمه الـ راجح أم نائله العُمُرُ
[جـ] وقوله أيضاً :

أفدى نذاك فُرت يوم جاءني عفواً يقوِّد لي الغنى بزمامه
وإذا أردت لبستُ منك مواهباً ينشرن نشرَ الوردِ من أكمَامه

= أما البيت الثالث فجاء قبيل نهاية القصيدة ، وهو يريد أن يقول : إن الأنام كلهم إذا ذكرت مناقبهم مع مناقبكم كانت مناقبكم تزين الدهر وأهله ، كما أن البيت البديع في القصيدة يزينها ، وهو مثل هذا البيت ، لأنه بيت بديع في حسنه ومعناه .

[٢/ب] النائل العطاء . والعمر : الكثير .

[٢/جـ] الندى : الجود والسَّخاء والخير ، والجمع : أنداء وأندية . =

[د] ومن غرر أبى بكر العلاف قوله لعصُد الدولة :

ياعَلَمَ العالمَ فى الجُودِ مثلكَ جودًا غيرَ مَوْجودِ
بل استوى الجودُ على جِرمِهِ كما استوى الفُلُكُ على الجُودِ
[هـ] قال بعضهم فى الكرم :

وَإِذَا الكَرِيمُ نَبَتْ بِهِ أَيامُهُ لَمْ يَنْتَعَشْ إِلَّا بِعَوْنِ كَرِيمِ
فَأَعِنِ عَلَى الخَطْبِ العَظِيمِ فَإِنَّهُ يُرَجِّى العَظِيمُ لِدَفْعِ كُلِّ عَظِيمِ
[و] ومن أحسن قول أبى فراس الحَمْدانى :

وَيُدْعَى كَرِيمًا مِنْ بِجودِ بِمالِهِ وَمَنْ يَبْذُلُ النَفْسَ الكَرِيمَةَ أَكْرَمُ
[٣] وقال أبو تمام فى الشجاعة :

[أ] وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فى نَدَى وَوَعَى وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا
يَقْرَى مُرَجِّيه مُشَاشَةً مَالِهِ وَشَبَا الْأَسِنَّةِ ثَغْرَهُمْ وَوَرِيدَا
أَيَقْنَتَ أَنْ مِنَ السَّمَاكِ شَجَاعَةً تُدْمِي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ جودَا

= والمواهب : جمع مَوْهبة وهى العطية وربما أطلقت على الموهوب .
ينشرن : يذعن .. والنشر : الرِّيح الطيبة .

والأكام : جمع كَيْم : بُرْعوم الثمرة ، ووعاء الطلع ، وغطاء الثَّور .

[٢/هـ] نبت به أيامه : تباعدت عنه ، ولم تُقبل عليه !

ينتعش : ينهض من كبوته .

[٣/أ] من قصيدة طويلة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى :

والمشاشة : العظم الذى يمكن مضغه ، وربما أكل . ويجوز أن يعنى المشاشة
ما على العظم المُمتَشِّ من اللحم ، وإنما عنى أنه يبالغ فى العطية ، فيمكنه من
ماله حتى يمتَشَّهُ . والثغرة : ثغرة النحر ، والوريد جبل العاتق .

وشبا الأسنة : حدها . يقول : يعطى آملية خيار ماله وأعداءه شبا أسنته فى

ثغورهم .

[ب] وقال المتنبي :

وكل شجاعة في المرء تُعْنَى ولا مثل الشجاعة في الحكيم

[٤] ومن أحسن ما قيل في مدح الشجاع قوله :

شجاع كأن الحرب عاشقة له إذا زارها فدته بالخيال والرجل

[٥] ومن أحسن ما قيل في مدح الحلم :

أرى الحلم في بعض المواطن ذلةً وفي بعضها عزاً يسود فاعله

[٦] وأحسن ما سمعت في ترك الحلم بعد الإعذار :

[أ] قول الحسين بن الضحاك :

أتاني منك ما ليس على مكروهه صبرٌ

= ويقول المرزوقي في البيت الثالث : يتسَخَّى في الحرب بنفسه ، ويتبدل للسلح ولا يصونها ، فإن حضرته الزوار والعفاة فإنه يتندى بأمواله عليهم ، ويذلها ولا يضمن بها ، فمن تأمل حالتيه علم التناسب بين السماح والشجاعة ، إذ كان لا تسخو نفسه إلا بشجاعته ، ولا يشجع إلا بعد أن يسخو بنفسه ، وقد بين هذا فيما قبل فقال :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى : ووغى (البيت) .

[٣/ب] من قصيدة قالها وقد كبست أنطاكية فقتل مهره الطخروور والحجر أمه ومطلعها :

إذا غامرت في شرف مَروم فلا تُفَنِّع بما دون النجوم

ويقول المتنبي في بيتنا هنا : إن الشجاعة كيفما كانت ، وفيمن كانت مغنية كافية ، وإذا كانت في الرجل الحكيم العاقل كانت أتم وأحسن لانضمام العقل إليها ، يعني أن الشجاعة في غير الحكيم ليست مثل الشجاعة في الحكيم .

[٦/أ] الحسين بن الضحاك : نشأ بالبصرة خليعاً ماجناً ظريفاً ثم انتقل إلى =

فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمِدٍ وَقَدْ يُعْضِي الْفَتَى الْخُرُ
وَأَدْبَتُكَ بِالْهَجْرِ فَمَا أَدَبَكَ الْهَجْرُ
وَلَا رَدَّكَ عَمَّا كَا نَ مِنْكَ الصَّفْحُ وَالزَّجْرُ
فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكُ رُوهَ وَاشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ
تَنَاوَلْتُكَ مِنْ سِرِّي بِمَا لَيْسَ لَهُ قَدْرُ
فَحَرَكْتُ جَنَاحَ الدُّلَى لَمَّا مَسَّكَ الضُّرُّ
إِذَا لَمْ يُصْلِحِ الْخَيْرُ أَمَّ رَأَى أَصْلَحَهُ الشَّرُّ

[ب] ومن قول بعضهم :

وَبَعْضُ الْحَلِيمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلدَّلَّةِ إِذْعَانُ
وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

[٧] ومن أحسن ما سمعتُ في التواضع قول بعضهم :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

— وَإِنْ عَظُمُوا — لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ

أَرَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَعًا

إِذَا مَا بَدَأَ وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ

= بغداد ، واتصل بالخلفاء اتصالاً قوياً ولا سيما الأمين ، ثم عاد إلى البصرة أيام المأمون لسخطه عليه ، ولكنه اتصل بالمعتصم وخلفائه بعده حتى توفي سنة ٢٥٠ هـ . وقد استلزمت حياته إجادة الخمریات والمديح في أسلوب موسيقى متين ينم عن خلق متين ، ووفاء جميل مع عبث وفكاهة .

والبيت الأخير حكمة رائعة ، فهناك نفوس جبلت على الشر ولا تُصلحها المعاملة الكريمة كما قال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَمَرَّدَا

ومثل هذه النفوس تحتاج إلى الشدة والحزم لترتدع وتزجر .

تواضع لَمَّا زاده الله رفعة
فكل رفيع عنده متواضع

[٨] [أ] قال القطامي في الثاني :

قد يُدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
[ب] ثم قال بعد ذلك :

وربما فات قومًا بعض أمرهم من التأني وكان الحزم لو عجلوا
[٩] من أحسن ما قيل في الصديق قول محمود :

الصدق حلّو وهو المر والصدق لا يتركه الحر
جوهرة الصدق لها جوهر يحسدها الياقوت والدر
[١٠] وأحسن ما سمعت في الذنب والعفو قول بعضهم :

تبسطنا على الآثام لَمَّا رأينا العفو من ثمر الذنوب
[١١] وأحسن ما سمعت في القناعة :

[أ] قول ابن طباطبا العلوي :

كن بما أوتيته مُقْتَنِعًا تُسْتَدِمُ عُسرَ القُوعِ المكتفى
إن في نيل المني وشك الردى وهلاك المرء في ذا السرف

[٨/أ] القَطَامِي : هو عمير بن شَيْمٍ القطامي ، نشأ كالأخطل ، واتصلت حياته بحروب قومه مع بني تغلب يصف حروبها ، ويتنصر لقومه ، وأكثر مدحه في زفر القيسي ، وأسماء الزاري . والقطامي ذو شعر مستوى الأسلوب والقوة ، رائع جيد ، يتناول الفخر والحماة والنسيب والوصف والمدح ، ويدل على خلق نبيل ، وشخصية ممتازة .

[١١/أ] وشك الردى : قربه ، فليس بعد الكمال إلا النقص .

[ب] وقول الآخر :

اَقْتَنِعْ بِالْقَوْتِ واجْعَلْ كُلَّ أَيَّامِكَ طَاعَةً
ما أرى الدُّنْيَا تُسَاوِي عِنْدَ حُرٍّ غَمٍّ سَاعَةً

[١٢] ولا مزيد على قول البرقي في ذم القناعة :

رَأَتْ عِزًّا مَا بِي وَفَرَطَ انْكِماشِي وطُولَ التَّمَلُّلِ فوقَ الفِرَاشِ
وقالت: أراكَ أَحَا هِمَّةٍ سَتَبَلُّعُهَا فَتَرى ذَا انْكِماشِ
فَهَلَّا قَنَعْتَ وَلَمْ تَعْتَرِبْ فقلتُ القناعةُ طَبْعُ المَواشِي

[١٣] ومن أحسن ما قيل في الحياء :

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تُسْتَحْيَ فافْعَلْ ما تشاءُ
فلا والله ما في العيشِ خَيْرٌ ولا الدُّنْيَا إذا ذهبَ الحياءُ

[١٤] ومن أحسن ما قيل في الرِّفْقِ قول بعضهم :

لَمْ أَرِ مِثْلَ الرِّفْقِ في يَمِينِهِ يَسْتَخْرِجُ العَذْرَاءَ من حِذْرِها
مَنْ يَسْتَعِنُ بِالرِّفْقِ في أَمْرِهِ يَسْتَخْرِجُ الحَيَّةَ من جُحْرِها

[١٥] ومن أحسن ما قيل في المَدَاراةِ قولُ أبي سُلَيْمان :

مادُمتَ حَيًّا فدارِ الناسَ كُلَّهُم فَإِنما أَنْتَ في دارِ المَدارَةِ
دُنْيَاكَ تَغَرُّ فَكُنْ منها على حَذَرٍ فَالْتَفِرْ مَثْوًى مَخافَةٍ وآفَاتِ

[١٣] ذكر البيتين ابن حبان البستي في نزهة الفضلاء أنشدتهما إياه رجل من خزاعة وأضاف إليهما ثالثاً هو :

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

[١٤] في يمينه : في بركته . والخدر : سِتْر . يُعَدُّ للمرأة في ناحية البيت .

[١٦] ومن أحسن ما قيل في علو الهمة :

[أ] قول ابن طباطبا العلوي :

له همة إن قست فرط علوها حسبت الثريا في قرار قلب

[ب] وأحسن منه قول الآخر :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

[١٧] ومن أحسن ما قيل في التقوى قول الشاعر :

أحسن بربك ظناً فإنه عند ظنك

واجعل من الله حصناً فإنه خير حصنك

[١٨] ومن أحسن ما قيل في كتمان السر قول أبي الفتح :

إذا خدمت الملوك فالبس من التوقي أعز ملبس

وكن إذا ما خرجت أحرص

[١٩] ومن أحسن ما قيل في التوسط في الأمور :

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

[١٦] القليب : البعر . والجمع قلب .

أبو الفتح : علي بن محمد أبو الفتح (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٧ م) شاعر ابن
أبي الفضل ابن العميد لقب بذي (الكفايتين) : (السيف والقلم) . وزير
ركن الدولة بن بويه ومؤيد الدولة . دسّت عليه الدسائس فعذب ومات
سجيناً .

[٢٠] وأحسن ما قيل في الهيئة قول بعضهم :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ

[٢١] ومن أحسن ما قيل في مدح الوالى :

[أ] قول مسلم :

إِنَّمَا كُنَّا كَأَرْضٍ مَيْتَةٍ لَيْسَ لِلزَّائِرِ فِيهَا مُنْتَظَرٌ
فَحِينَا بِكَ إِذْ وُلِّيتَنَا وَكَذَاكَ الْأَرْضُ تَحِيًّا بِالْمَطَرِ

[٢٠] جاء في تحرير التحرير لابن أبى الأصبع المصرى (٥٨٥ — ٦٥٤ هـ)
« باب حسن الاتباع » .

قوله : ولقد أحسن البحترى في اتباع الحزين الكنانى في قول (بسيط) :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ

فإن البحترى قال :

إِنْ أَطْرُقَ اسْتَوْحِشْتُ لِلْخَوْفِ أَفْنَدَةً وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ مِنْ أَنْسٍ إِذَا ابْتَسَمَا

وقد جاء هذا البيت : يُغْضِي حَيَاءً .. إلخ في نقد الشعر : ٢٧ من قصيدة
يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان وقد وفد عليه وهو عامل مصر
مطلعها : هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... إلخ .

وتروى القصيدة لداود بن سلم في مدح قسم بن العباس بن عبد الله بن
العباس ، وتروى للعين المنقرى في مدح على بن الحسين ، وتروى أيضاً
للفرزدق ، ولكنها ليست في ديوانه . انظر الأغاني ١٩ : ٤٠ ، وزهر الآداب
١ : ٦٥ . وجاء في مجموعة النظم والنثر أنها للفرزدق المتوفى سنة ١١٠ هـ .

قالها يمدح سيدنا علياً زين العابدين حين سأل عنه الخليفة هشام بن
عبد الملك ، وقد رآه يطوف بالكعبة ، ورأى إجلال الناس له فتجاهل معرفته ،
وقال : من هذا ؟ . وَيُغْضِي : يغمض جُفونه من الحياء ، ويغمض الناس
جفونهم من هيئته ، فإذا ابتسم هَذَا رُوعُ النَّاسِ فكلّموه .

[ب] وقال على ابن جبلة :

دجلة تسقى وأبو غانم يُطعم من تسقى من الناس
الناس جسم وإمام الهدى رأس وأنت العين في الراس

[ج] ولعل بن الجهم :

يا بنى طاهر حللتم من الناس محل الأزواج في الأجسام
وإذا رابكم من الدهر ريب عم ما حصكم جميع الأنام

[د] ولابن الرومي :

كل الخلال التي فيكم محاسنكم تشابهت منكم الأخلاق والخلق
فأنتم شجر الأترج طاب معاً حملاً ونوراً وطاب العود والورق

[٢٢] وأحسن ما سمعت في طيب فصاد قول كشاجم :

الحمد لله قد وجدت أحمأ لست بذا الدهر مثله واجد
أسكن في صحتي إليه فإن مرضت كان الطيب والعائد
أحنى على كل من يعالجه من الشفيق الشقيق والوالد
يعلم من قبل أن تخاطبه ما أنت من كل علة واجد
كأنما تحت ما يجس به قلب دليل وناظر رائد
كأنما طرفه لمبضعه فمتصل في طريقه الفاصد
كأنه من نصيحة وتقى لنفسه دون غيره قاصد
يقي علينا دم الحياة ولا يخرج إلا المضر والفاصد

[٢١/ب] على بن جبلة المعروف بالعكوك .

[٢١/د] الأترج : شجر يعلو ، ناعم الأغصان والورق والثمر ، وثمره

كالليمون الكبار ، وهو ذهبي اللون ، ذكي الرائحة ، حامض الماء .

يُخْرِجُ مَقْدَارَ مَا يَزِيدُ عَلَى الْمَدِّ زَا ج لَا نَاقِصًا وَلَا زَائِدَ
 إِنْ جَمَدَ الطَّبْعُ حَلًّا مِنْهُ ، وَإِنْ ذَابَ انْخِلَالًا أَعَادَهُ جَامِدُ
 مُتَّسِعُ الْكُمِّ غَيْرُ ضَائِرِهِ يَسْعُدُ فِي لُطْفِ كَفِّهِ السَّاعِدُ
 مُبَارَكُ الشَّخْصِ حِينَ تُبْصِرُهُ تُوقِنُ بِالْبُرِّ أَنَّهُ وَارِدُ

[٢٣] قَالَ بَعْضُهُمْ فِي طَبِيبِهِ :

إِذَا سِقَامٌ عَرَكَ نَازِلُهُ فَانْدُبَ أَبَا جَعْفَرٍ لِنَازِلِهِ
 يَعْرِفُ مَا يَشْتَكِيهِ صَاحِبُهُ كَأَنَّهُ حَلٌّ فِي مَفَاصِلِهِ

[٢٤] أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي وَصْفِ مُزَيَّنٍ قَوْلَ الطَّبَّارِيِّ :

إِنْ أَبَا الْقَاسِمِ الْمُزَيَّنِ قَدْ أَصْبَحَ رَأْسًا فِي حَلْقِهِ الرُّوسَا

[٢٥] وَقَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ فِي مَنْجَمِ :

صَدِيقُ لَنَا عَالِمٌ بِالنَّجْوِ مَ يَحْدِثُنَا بِلِسَانِ الْمَلِكِ
 وَيَكْتُمُ أَسْرَارَ إِخْوَانِهِ وَلَكِنْ يَنْمُ بِسِرِّ الْفَلَكِ

بسم الله

البابُ السابعُ عَشَرُ

في
الشكر ، والعذر ، والاستماعة ، والاستباحة
وما يجري مجراها

- من أحسن ما قيل في الشكر والثناء .
- من أحسن ما قيل في شكر إعادة البر .
- من أحسن ما قيل في العذر .
- نهاية في الحسن والظرف .
- من أحسن الاستماعات .
- أشد الاستماعات تصريحاً .
- أحسن ما قيل في الاستزادة .

في الشكر والعذر والاستباحة والاستباحة وما يجري مجراها

[١] من أحسن ما قيل في الشكر والثناء :

[أ] قول بعضهم :

وَهَتَّ يَدِي لِلْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ يَدِهِ
وما فوق شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدُ
ولو كان شيئاً يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعْتُهُ
ولكنَّ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

[ب] ومن أحسن أبي نُوَاسِ قوله :

قد قلتُ للعباسِ مُعْتَذِراً من ضَعِفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفاً
أنتَ . آمُرُوكَ حَمَلْتَنِي نِعَمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا
لأُسْدَيْنِ إِلَى عَارِفَةٍ حتى أَقَوْمَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

[ج] ومن الأحسن قول إبراهيم بن المهدي للمأمون :

رَدَدْتَ مَا لِي وَلَمْ تَبْحُلْ عَلَيَّ بِهِ وقبل رَدِّكَ مَا لِي قد حَقَّقْتَ دَمِي
فَأَبْتُ عَنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي نِعَمًا هي الحياتان : من مَوْتٍ ومن عَدَمٍ

[د] وقول أبى تمام :

لَيْنُ جَحَدْتُكَ مَا أُولَيْتَ مِنْ حَسَنِ
إِنِّى لَفِى اللُّؤْمِ أَخْطَى مِنْكَ فِى الْكَرَمِ
رَدَدْتُ رَوْنَقَ وَجْهِى فِى صَحِيفَتِهِ
رَدَّ الصَّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْخِذَمِ
وَمَا أَتَالَى وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
حَقَنْتَ لى مَاءَ وَجْهِى أَمْ حَقَنْتَ دَمِى

[هـ] وله أيضاً :

مُمْطِراً لى بِالْجَاهِ وَالْمَالِ لَا أَلْقِ
فَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتُ رِشَاءً وَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتُ قَلْباً
[٢] مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِى شُكْرِ إِعَادَةِ الْبِرِّ قَوْلُ جَحْظَةَ :

مَا زِلْتُ تُحْسِنُ ثُمَّ تُحْسِنُ عَائِداً وَأَعُودُ شَاكِرٌ نِعْمَةٍ فَتَعُودُ
وَتَزِيدُ فِى التَّعْمَى وَأَشْكُرُ جَاهِداً وَكَذَلِكَ نَحْنُ تَعِيدُ لى فَأَعُودُ
[٣] وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِى الْعُذْرِ :

[أ] قول إبراهيم بن المهدي :

أَغْنَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَظَرَةٍ تَزُولُ بِهَا عَنَى الْمَهَانَةُ وَالذُّلُّ
فَإِلَّا أَكُنْ أَهْلاً لِمَا مِنْكَ أُرْتَجَى فَأَنْتَ — أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — لَهُ أَهْلٌ
وَعَفْوُكَ أَرْجُو لَا الْبِرَاءَةَ إِنَّهُ أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ

[١/د] مطلع قصيدة قالها يمدح أبا سعيد كما جاء فى ديوانه :

وَالصَّقَالُ : الْجَلَاءُ . وَالْبَهَاءُ : الْحَسَنُ . وَالصَّارِمُ : السَّيْفُ . وَالْخِذَمُ :
الْقَاطِعُ .

[١/هـ] الرِّشَاءُ : الْحَبْلُ ، وَالْقَلِيبُ الْبُئْرُ .

[ب] وقوله أيضاً :

ذنبى إليك عظيم وأنت للعفو أهل
فإن عفوت ففضل وإن أخذت فعدل

« ومما ينخرط فى سلك هذا الفصل قول ابن المعتز « وهو :

[٤] نهاية فى الحسن والظرف :

[أ] سيدى قد عثرتُ حُذْ بِيَدِي ولا تَدْعِنِي ولا تُقُلْ : تَعْسَا
واعفُ فإنْ عُدْتُ فاعفُ ثانيةً فقد يُداوِي الطيبُ مَنْ نُكِسَا

[ب] وقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
ضِيعْتُ عُرْفَكَ عِنْدِي وَلَمْ أَصُنْهُ فَصُنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَعَالِي حُرًّا كَرِيمًا فَكُنْهُ

[ج] وقول أبى على :

ولو أَنْ فِرْعَوْنَ لَمَّا طَغَى وقال على الله إفكًا وزُورًا
أَنَابَ إِلَى اللَّهِ مُسْتَغْفِرًا لَمَّا وَجَدَ اللَّهُ إِلَّا غُفُورًا

[٤/أ] يدعون على العاثر إن كان شريراً فيقولون : تَعْسًا له وتَعَسَ وانتكس ،
وتَعَسَ تَعْسًا عثر فسقط ، وأكب على وجهه ، وهلك فهو تاعس . وتَعَسَ
تَعْسًا فهو تَعَسَ وتَعَسَ . وفى المثل تعست العَجَلَة ، وفى الحديث : « تَعَسَ
عبد الدينار والدرهم »

[٤/ب] العُرف : المعروف .

[٥] ومن أحاسن الاستماعات قول البحترى :

يَدُ لَكَ عِنْدِي قَدْ أَبْرَ ضِيَاؤُهَا

عَلَى الشَّمْسِ حَتَّى كَادَ يَحْبُو سِرَاجُهَا

فَإِنْ تُلْحِقِ النُّعْمَى بُنْعَمَى فَإِنَّهُ

يَزِينُ اللَّأْلَى فِي النِّظَامِ اازدواجها

[٦] ولم أسمع أشدَّ تصريحاً في الاستماعة من الخليل حيث يقول :

[أ] أَنَا حَامِدٌ، أَنَا شَاكِرٌ، أَنَا ذَاكِرٌ أَنَا جَائِعٌ، أَنَا رَاجِلٌ، أَنَا عَارِي

هِيَ سِتَّةٌ فَكُنِ الضَّمِينِ لِنَصِفِهَا أَكُنِ الضَّمِينِ لِنَصِفِهَا يَا بَارِي

[ب] وقول بعضهم :

الْعَارُ فِي مَدْحِي لِعَيْرِكَ فَاكْفِنِي — بِالْجُودِ مِنْكَ — تَعْرِضِي لِلْعَارِ

وَالنَّارُ عِنْدِي فِي السُّؤَالِ فَهَلْ تَرَى أَلَّا تُكَلِّفَنِي دُخُولَ النَّارِ

[٧] ومن أحسن ما قيل في الاستزادة قول ابن الرومي :

[أ] أَيُّهَا الْمُنْصَفُ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا أَصْبَحْتُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ

كَيْفَ تَرْضَى الْفَقْرَ عَرْسًا لَا مَرِيءَ وَهُوَ لَا يَرْضَى لَكَ الدُّنْيَا أُمَةً

[٥] الاستماعات : جمع استماعة وهي طلب الجود والكرم والبذل في العسر واليسر .

ويقال : أَبْرَ عَلَى الْقَوْمِ : غلبهم . وَهنا أَبْرَ عَلَى الشَّمْسِ : غلبها .

[٦/ أ] أَنَا رَاجِلٌ : لَا يَجِدُ مَا يَرْكَبُهُ . وَالضَّمِينِ : الْكَافِلُ .

[٧/ أ] عَرْسًا : بِكسر العين : الزَّوْجُ ، يُقَالُ : هُوَ عَرْسُهَا وَهِيَ عَرْسُهُ ،

وَهُمَا عَرْسَانِ . وَالْمُرَادُ : كَيْفَ تَرْضَى الْفَقْرَ شَرِيكًا لِحَيَاتِي ؟!

[ب] وقول الآخر :

هزرتك لأنى وجدتك ناسياً لوعدٍ ولاأنى أردت التقاضيا
ولكن وجدث السيف عند انتضائه إلى الهز محتاجاً وإن كان ماضياً

[ج] وقول بعضهم :

أبا حسن شفعت إلى الليالى بؤدك إنه أركى شفيع
إذا أكدى الربيع فأين خير يؤمل للحيا بعد الربيع !؟



[٧/ ج] أكدى : بخل . والحيا : المطر .

الباب الثامن عشر

في مساوىء الأخلاق والأهاجي

- أهجى بيت للعرب .
- أهجى بيت للمحدثين .
- أحسن ما قيل في اللؤم .
- أحسن ما قيل في شرف الأصل ولؤم النفس .
- أحسن ما قيل في الثقل .
- أحسن ما قيل في القبح .
- أحسن ما قيل في ذوى المنظر الجميل ولا خير عندهم .
- من مُلح الصابى في وصف أبخر .
- من مُلح الصابى في هجاء مُعلّم .
- أحسن ما سمع في هجاء أعمى !

في مساوىء الأخلاق والأهاجى

[١] قال بعض الرواة :

[أ] أهجى بيت للعرب قول الأعشى :

يبيتون في المَشْتَى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يثن خماصاً

[ب] وقول الأخطل :

قوم إذا استبَح الأضياف كلَّهم قالوا لِأَمِّهم : بُولى على النَّار !

[١ / أ] الأعشى هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهم ، قال الشعر وأجاده ، وذاع صيته ، ومدح الملوك والأجواد ، ومنهم المأذرة ، وملوك نجران حتى طمع في جوائز كسرى فرحل إليه ومدحه ، وله شعر غزير جيد ، وقصائد مُطوّلة وعده كثير من أصحاب المعلقات . غرثى : جائعات . خماصاً : خاليات البطون ضامرات .

[١ / ب] هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبى نشأ في قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر عامة ، وقيس خاصة . وكان الأخطل أحظى الشعراء لدى الأمويين اتخذه شاعرهم يناضل عنهم أعداءهم . وقد دخل بين جرير والفرزدق في التهاجى منتصراً للأول فعد من أصحاب النقائص . ويمتاز شعره بجزالة الأسلوب ، وترك الإقذاع في الهجو . مات في أول خلافة الوليد سنة ٨٥ هـ على المشهور .

وربما يقول متسائل : كيف دخل الهجاء باب الأدب مع أنه يصف مشاهد =

[٢] وأجمعوا على أن أهجى بيت للمحدثين :

[أ] قول مسلم في الحكم :

أما الهجاء فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمدحُ عنك كما علمت جليلُ
فأذهبْ فأنت طليقُ عِرْضِكَ إنه عِرْضٌ عَزَزْتُ به وأنت ذليلُ

= مؤذية ولا يثير إلا انفعال الغضب فضلاً عن نهى الإسلام عن الهجاء ..

لكن النقاد المحدثين بحثوا عن الباب الذى دخل منه الهجاء ميدان الأدب فقررروا أن المعرفة المقرونة بالإعجاب هى المعرفة الجمالية التى يستهدفها الأدب ، وما الفكرة الجمالية إلا هذه التى نتأثر منها ، وتثير انفعالنا ؛ لأنها مصدر إعجاب لذاتها ، أى حتى لو كان موضوع الأدب فى ذاته غير موصوف بالجمال ، ومن هذا الباب الهجاء وغيره فى باب الأدب ؛ لأنه يدخل فى باب الجمال ، فقد تمكن الأديب بهذا الأدب من أن يؤثر فينا ، ومن أن يثير منا كثيراً من الانفعالات الكامنة .

وأولئك القوم نموذج للبخل ، فلا تكاد كلابهم تنبح الأضياف حتى يأمرؤا أمهم بإطفاء النار التى يستدل بها عليهم حتى لا يهتدى الأضياف إليهم وكان من عاداتهم إذا أرادوا أن يعرفوا مكانهم ، أو أن يهتدوا إلى قوم يأوون إليهم فى الليل تعرضوا للكلاب فجعلوها تنبح ، حتى يهتدى أصحاب الكلاب إليهم فيؤوهم تلك الليلة ويضيفوهم . وقد جمع هذا البيت ضرورياً من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوقود النار ؛ لثلا يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها للسائرين والسائلة ، ورماهم بالبخل بالخطب ، وأخبر عن قتلها ، وأن قليلاً من البول يطفئها ، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالها فى مثل هذه الحال . يدل ذلك على العقوق لأهمهم ، والاستخفاف بشأنها ، وعلى أنه لا خادم لهم ، وعلى أنهم بخلاء بالماء كما جاء فى العمدة (٢ : ١٤٢) .

وقيل : إن أهجى شعر هو ما قاله بشار ، ورواه صاحب الأغاني ، وهو من طريقة التفضيل .

[ب] وقوله أيضاً :

قَبَحَتْ مَنَاطِرُهُمْ فَحِينَ بَلَوْتُهُمْ حَسُنَتْ مَنَاطِرُهُمْ لِقُبْحِ الْمَخْبِرِ

[جـ] وقول أبي نواس :

بِمَا أَهْجُوكَ لَا أَذْرِي لِسَانِي فِيكَ لَا يَجْرِي
إِذَا فَكَّرْتُ فِي عَرْضِكَ أَشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِي !

[٣] وما أحسن ما قال أبو تمام في اللُّؤْم :

وَمَنَازِلُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا سَاحَةٌ إِلَّا وَفِيهَا سَائِلٌ مَحْرُومٌ
عَرَصَاتُ لُؤْمٍ لَمْ يَكُنْ لِسَيِّدٍ وَطَنًا وَلَمْ يَرْبَعْ بِهِنَّ كَرِيمٌ

[٤] ومن أحسن ما قيل في شرف الأصل ولؤم النفس :

[أ] قول ابن الرومي :

وَمَا الْحَسْبُ الْمُرُوثُ لَا دَرَّ دَرُّهُ

بِمُحْتَسَبٍ إِلَّا بآخر مُكْتَسَبٍ

إِذَا الْعُودُ لَمْ يُثْمِرْ — وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً

مِنَ الْمُثْمِرَاتِ — اعْتَدَهُ النَّاسُ فِي الْحَطَبِ

[٢/ب] لقد كان الشاعر يستدل على لؤم أولئك القوم بما يقرؤه على صفحات وجوههم من قبح فالوجه عنوان الداخل ، ولكنه عندما خبرهم وجد أن مَنَاطِرَهُمْ أحسن مما ينطوون عليه من لؤم .

[٣] الأبيات من قصيدة قالها يهجو عياش بن لهيعة .

ساحة : المكان الواسع ، وفضاء يكون بين الدور ، ويقال : نزل بساحة فلان . نزل به . والعَرَصَاتُ جمع عرصة وهي ساحة الدار ، والبقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها . وربيع بالمكان : أقام واطمأن .

[٤/أ] الحسب : ما يعده المرء من مناقبه أو شرف آبائه .

[ب] وقول الآخر :

أَبُوكَ أَبٌ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبٍ
فَلَا يَعْجَبَنَّ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْهُمَا فَمَا خَبُثْتُ مِنْ فِضَّةٍ بَعْجِيبٍ

[٥] من أحسن ما قيل في الثقل قول إبراهيم :

إِذَا أَقْبَلَ — لَا أَقْبَلَ — لَ — قُلْنَا كَلْنَا : آه
وَإِنْ أَدْبَرَ كَبَّرَ — لَ — جَمِيعًا وَلَعَنَاهُ

[٦] ومن أحسن ما قيل في القُبْح :

[أ] قول أبي تمام :

قُبْحَتْ وَزِدَتْ فَوْقَ الْقُبْحِ حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ الْفِرَاقِ
مَسَاوٍ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى نِسَاءٍ لَمَا أُمِّهَرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ !

[ب] وقال الآخر :

وَجْهَ أَبِي عَمْرٍو اللَّعِينِ بِهِ فِي الْقُبْحِ وَالْبَرْدِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ
كَأَنَّهُ فِي اتِّسَاعِ صُورَتِهِ رَوْثَةُ ثَوْرٍ قَدْ دَاسَهَا جَمَلُ

[٧] ومن أحسن ما قيل في ذوى المنظر الجميل ولا خير عندهم :

إِذَا مَا جِئْتَ أَحْمَدَ مُسْتَمِيحًا فَلَا يَغْرُزُكَ مِنْظَرُهُ الْأَنِيقُ
لَهُ عَرْفٌ وَلَيْسَ لَدَيْهِ عَرَفٌ كِبَارِقَةٌ تَرُوقُ وَلَا تُرِيقُ
فَلَا تُخْشَى الْعِدَاوَةُ مِنْهُ أَصْلًا كَمَا بِالْوَعْدِ لَا يَثِقُ الصَّدِيقُ

= والدَّرُّ : اللين ، أو الكثير منه ، ويقال في المدح والتعجب : لله دَرُّه ! ،
ويقال : دَرَّ دَرُّه : كثر خيره ، ولا دَرَّ دَرُّه : لازكا عمله .

[٧] العَرَفُ : الرائحة مطلقاً ، وأكثر ما يستعمل في الطيبة منها . والعَرَفُ
(بالضم) المعروف : وهو خلاف التُّكْر . والبارقة : مؤنث البارق . وهى
السحابة يلمع فيها البرق . وليست إلا برقاً خُلْبًا لا ماء فيه !

[٨] ومن مُلِح الصَّابِي قوله في وصف أبجر :

مَضَعُ الهِنْدِيِّ لِلـ هِرَّةٍ خَبْرًا فَرَمَاهَا
فَدَنَتْ مِنْهُ فَشَدَّ مَتَّهُ فَظَنَّتْهُ ... رَاهَا
فَحَشَّتْ ثُرْبًا عَلَيْهِ ثُمَّ وَلَّتْهُ قَفَاهَا

[٩] وقوله في هَجَاءِ مُعَلِّم :

وَكَيْفَ الْعَقْلُ وَالْفَضْلُ عِنْدَ مَنْ

يَرُوحُ إِلَى أَثْنَى وَيَعْدُو إِلَى طِفْلِ ؟!

[١٠] وليس في هجاء أعمى أحسن من قول القائل :

كيف يرجو الحياءَ منه صديقٌ ومكانُ الحياءِ منه خرابٌ ؟!



[٨] حذفنا أول حروف الكلمة لقبحها ! (في البيت الثاني) .

[٩] كما نقول : من البيت للكتاب ، ومن الكتاب للبيت .

[١٠] أى ليس لديه نظر !

الباب التاسع عشر

في الأمراض والعيادات وما ينضاف إليها

- أحسن ما قيل في مدح الصحة ودم المرض .
- أحسن ما قيل في عيادة السادة .
- أحسن ما قيل في عيادة الإخوان .
- أحسن ما قيل في مرض الحبيب .
- أحسن ما سمع في هذا الباب .
- أحسن ما قيل في الحمى .
- من أحسن ما قيل في العتاب على ترك العيادة .
- أحسن ما سمع في البرء بعد الإشراف .
- أحسن ما سمع في التهئة .
- أحسن ما سمع في شرب الدواء .

في الأمراض والعِيَادَات وما يَنُضَاف إليها

[١] أحسن ما قيل في مدح الصحة وذم المرض :

[أ] قول بشار بن برد :

إني وإن كان جمعُ المالِ يُعْجِبُنِي فليس يعدلُ عندى صَحةُ الجَسَدِ
في المالِ رَينٌ وفي الأولادِ مَكْرَمَةٌ والسُّقْمُ يُنْسِيكَ ذَكَرَ المالِ والوَلَدِ

[ب] وقول عنترة :

المَالُ للمرءِ في معيشتِهِ خير من الوالدين والولدِ
وإن تَدُمَ نعمةٌ عليه تجدُ خيراً من المالِ صَحةُ الجَسَدِ
وما بمن نال فضل عافية وقوت يوم—فقر إلى أحد

[٢] من أحسن ما قيل في عيادة السادة قول بعضهم :

قالوا أبو الفضل معتلّ فقلت لهم : نفسى الفداء له من كل محذور
ياليت علته بى غير أن له أجر العليل وأنى غير مأجور

[١/أ] أنشد له في الظرائف صفحة (١٩٢) وفي بهجة المجالس :

إني وإن كان جمع المال يعجبني لا يعدلُ المالُ عندى صَحةُ الجَسَدِ
المالُ زينٌ وفي الأولادِ مَكْرَمَةٌ والسُّقْمُ يُنْسِيكَ ذَكَرَ المالِ والوَلَدِ

ورواه في البهجة : فليس يعدل عندى. أهـ. (ملحقات الديوان الجزء الرابع).

[ب] عنترة العبسي : هو عنترة بن شداد العبسي أحد فرسان العرب وأغربتها

(سودانها) وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة .

[٣] ومن أحسن ما قيل في عيادة الإخوان قول بعضهم :

إن كنتُ في ترك العيادة تاركاً حظي فأني في الدعاء لجاهد
ولربما ترك العيادة مُشفقاً وأنى على كُرهِ الضمير لحاسد

[٤] ومن أحسن ما قيل في مرض الحبيب :

[أ] قول أبي تمام :

إن وَجَهَ الحُمَى لَوَجَهَ صَفِيقٍ حِينَ لَجَّتْ بِهِ نَهَارًا جِهَارًا
لم تَشْنُ وَجْهَهُ المَلِيحَ وَلَكِنْ حَوَّلَتْ وَرَدَ وَجَنَّتِيهِ بَهَارًا

[ب] وقول الآخر :

غَيَّرَتِ العِلَّةُ مِنْ وَجْهِهِ مَا كَانَ فِيهِ فَتْنَةُ العَالَمِينَ
وَلَمْ تَشْنُ وَجْهَهَا وَلَكِنَّا غَيَّرَتِ التَّفَاحَ بِالْيَاسَمِينَ

[جـ] وقول الآخر :

وَلَوْ أَنَّ المَرِيضَ يَزِيدُ حُسْنًا كَمَا تَزْدَادُ أَنْتَ عَلَى السَّقَامِ
لَمَا عَيْدَ المَرِيضُ إِذَا وَعَدْتَ لَهُ الشُّكُورُ مِنَ المِنْحِ العِظَامِ

[٥] وأحسن ما سمعت في هذا الباب قول بعضهم :

مَرَضَ الحَبِيبُ فَعُدَّتْهُ فَمَرَضْتُ مِنْ حَدَرِي عَلَيْهِ !
فَأَتَى الحَبِيبُ يَعُودُنِي فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَيْهِ !

[٤/أ] يقال : صَفَّقَ الوجه : وَفَّحَ ، فهو صَفِيق . والبَّهَارُ : كل شيء حسن منير ، وجنس زهر طيب الرائحة يَنْبَتُ أيام الربيع ويقال له : العَرَار .

[٦] وأحسن ما قيل في الحمى :

وزائرة بلا وعد أثنى فحلت بين جسمي والفؤاد
سنان للمنايا إن ثراءت لنفسي فالمنايا في طراد

[٧] ومن أحسن ما قيل في العتاب على ترك العيادة :

[أ] قول بعضهم :

لما اعتلت ثجافى عن مواصلى من كنت أرصده للبرء والسقم
إن عاقه الشغل عن إتيان مكرمة فلم يعقه عن القرطاس والقلم

[ب] ويحسن قول الآخر :

حق العيادة يوم بين يومين في جلسة لك مثل الملح بالعين
لا تحزن مريضاً في مساءلة كيفيك من ذاك تسأل بحرفين

[٨] أحسن ما سمعت في البرء بعد الإشراف قول ابن المعتز :

أتانى برء لم أكن فيه طامعاً

ككل أسير بعد شد وثاقه

[٦] فى طراد : تطاردنى .. يقال : فرسان الطراد : هم الذين يحمل بعضهم على بعض فى الحرب ونحوها . وطارده مطاردة وطراداً : حمل عليه وهجم .

[٧/أ] اعتلت : مرضت وأصابتنى علة . تجافى : تباعد . مواصلى : وصالى وزيارتى . أرصده : أدخره .

[٧/ب] لقد وضع الشاعر النقط على الحروف فى آداب الزيارة : يوم بين يومين .. جلسة قصيرة مثل الملح بالعين . كلمة من حرفين ..

[٨] البرء : الشفاء . والإشراف : المقاربة على الموت . يقال : أشرف المريض على الموت .. قاربه وكأنه أطلع عليه .

ويقال : مَحَّ الشيء يمجه : لفظه .

فإن كنت لم أجرع من الموت جرعة
فإنى مججت الموت بعد مذاقه !

[٩] أحسن ما سمعت في التهئة قول المتبى :

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم
وما أخصك في برء بتهئة
و زال عنك إلى أعدائك الألم
إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

[١٠] وقول ابن المعتز في شرب الدواء :

لازلت في غبطة من الزمن
وجال نفع الدواء فيك كما
لا يرتع السقم منك في البدن
يجول ماء الربيع في العصن



[٩] هذان البيتان من قصيدة قالها وقد عوفى سيف الدولة مما كان به ، وأولهما مطلع القصيدة وآخرهما خاتمتها .

وقوله : وزال عنك إلى أعدائك الألم إنما هو خبر وليس دعاء . يريد أن أعداءه تؤلمهم عافيته لعوده بعد ذلك إلى غزوهم ، كما يبين ذلك البيت الثانى من القصيدة : صحت بصحتك الغارات إلخ .

[١٠] الغبطة : حسن الحال والمسرة .

الباب العشرون

في التهاني والتهادى

- أول من هنا بالعرش .
- تهنة للمؤلف .
- تهنة بمولود .
- تهنة بخلعة .
- تهنة بقدوم من سفر .
- تهنة بشهر رمضان .
- تهنة بالأضحى .
- في فضل الهدية .
- في الاعتذار إلى الملوك من الإهداء .
- في إهداء خاتم .
- في إهداء كرسي .
- في إهداء نبق إلى صديق .
- في إهداء نعل .
- في إهداء سكين .
- في الرد على من أهدى سكرأ وشعأ .

في التهاني والتهادى

[١] أول مَنْ هَنَّا بِالْعَرْشِ عَدَى بن الرِّقَاع في بعض خلفاء بنى أمية :

قَمَرُ السَّمَاءِ وَشَمْسُهَا اجْتَمَعَا بِالسَّعْدِ مَا غَابَا وَمَا طَلَعَا
مَا وَارَتْ الْأَسْتَارَ مِثْلَهُمَا فِيمَنْ رَأَيْنَاهُ فَمَنْ سَمِعَا
دَامَ السُّرُورُ لَهُ بِهَا وَلَهَا وَتَهَنَّا طَوْلَ الْحَيَاةِ مَعَا

[٢] وكتب مؤلف الكتاب إلى بعضهم :

قَدْ لَبَسَ الدَّهْرُ حُسْنَ زَهْرَتِهِ مُدَّ زَوْجَ الْمُشْتَرَى بِزَهْرَتِهِ
وَفِي اقْتِرَانِ السَّعْدَيْنِ مَا فِيهِ مِنْ إِشْرَاقٍ وَجْهِ الْعُلَى وَنُضْرَتِهِ
فَالْطَّرْفُ مُسْتَأْنَسٌ بِغُرَّتِهِ وَالْقَلْبُ يُطَوَّى عَلَى مَسَرَّتِهِ

[٣] من أحسن ما سمعت في التهئة بمولود قول ابن الرومى :

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَدَا كَوَكَبَا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَنْجَبَا
ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ أَنْوَارُهَا لَا بُدَّكَ مِنْ مَشْرِقٍ مَغْرِبَا
تَبَارَكَ اللَّهُ ، وَسُبْحَانَهُ أَى شِهَابٍ مِنْكُمْ أَثَقْبَا

[٣] أى شهاب .. إلخ .. الشهاب : النجم المضئ اللامع . ويقال : ثَقَبَ الكوكب : أضاء فهو ثاقب ..

[٤] أحسن ما سمعت في التهئة بخلة قول بعض الكتاب :

أبا محمد المأمول نائله فت البرية طرا أيما فوت
زهت بك الخلة الميمون طائرهما كزهو كسوة بيت الله بالبيت

[٥] أحسن ما سمعت في التهئة بقدم من سفر قول ابن الرومي :

قدمت قدوم المشتري في سعوده وأمر كعال صاعد كبصعوده
لبست سناء واعتليت اعتلاءه وتأمل أن تحظى بمثل خلوده

[٦] أحسن ما قيل في التهئة بشهر رمضان :

نلت في ذا الصيام ما ترئجه ووقاك الإله ما تتقيه
أنت في الناس مثل شهر ك في الأشهر هـر أو مثل ليلة القدر فيه

[٧] وقول الصابي في الأضحى :

إن الهدية خلوة كالسحر تجلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى حتى يصيره قريبا

[٩] أحسن ما سمعت في الاعتذار إلى الملوك من الإهداء :

[أ] على العبد حق فهو لأبد فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

[٤] الخلة : ما يخلعه السلطان على أتباعه ومحبيه من ملابس وغيرها . وف :
فقت وسبقت . والبرية الخلق . وطرا : جميعاً . والميمون : المبارك . وزهت :
اختالت ، وتملكها العجب والفخر .

[٧] مُرجيك : مؤمِّل . والأضحى : جمع أضحية . والأضحية تذبج
أو تنحر .

[٩/ ب] التفت : جمع نُتفة ، وهى القطعة من الشيء . فقيم الباغ : القيم =

[ب] وفي معناه قول ابن أبي طباطبا :

لَا تُنْكِرَنَّ إِذَا أَهْدَيْتُ نَحْوَكَ مِنْ عِلْمِكَ الْغُرَّ أَوْ آدَابِكَ التَّنْفَاءَ
فَقِيمُ الْبَاغِ قَدْ يُهْدَى لِمَالِكِهِ بِرَسْمِ خِدْمَتِهِ عَنْ بَاغِهِ التَّحَفَاءَ

[ج] وكتب أحمد بن يوسف إلى علي بن يحيى :

مِنْ سُنَّةِ الْأَمْلَاكِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَأَحْوَالِهِ
هَدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَّةِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
فَقُلْتُ : مَا أُهْدَى إِلَى سَيِّدٍ حَالِي إِذَا فَكَّرْتُ مِنْ حَالِهِ ؟
إِنْ أُهْدِ نَفْسِي فَهِيَ فِي مِلْكِهِ أَوْ أُهْدِ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَقْبَى لِأَمْثَالِهِ

[٤] ومنها ما كتب إلى بعض الرؤساء :

هَدَيْتِي تُقْصِرُ عَنْ هِمَّتِي وَهَمَّتِي تَعْلُو عَلَى مَالِي
فَخَالَصُ الْوُدَّ وَمَحْضُ الْهَوَى أَحْسَنُ مَا يُهْدِيهِ أَمْثَالِي

= المتولى أمره . والباغ كما جاء في المصباح : الكرم لفظة أعجمية ، استعمالها
الناس بالألف واللام . والمراد : أن قيم البستان قد يهدى لملكه أجمل ما فيه

[٩/ج] أحمد بن يوسف : كاتب دولة بنى العباس ، ويقولون : إن أصل
آبائه من قبط مصر ، وكانوا كتاباً لبنى العباس ، فنشأ أحمد بن يوسف في بيت
علم وأدب وشب على الكتابة ، وكان من أبلغ الكتاب والشعراء واشتهر في
زمن المأمون ، فله كتب بليغة ، وكثير من الرسائل الديوانية والإخوانية ،
وكانت طريقته في الكتابة تميل إلى التوسع في المعاني والأساليب والعبارات ،
وجزالة الألفاظ ، وتطويل الرسائل السلطانية ، وكان يتولى ديوان الرسائل
للمأمون ، وقد أشار الثعالبي في أول الكتاب إلى بدء اشتهاره . وقد غضب
عليه المأمون غضبة مات منها سنة ٢١٣ هـ . والجدة : السعة .

[٩/د] محض الهوى : خالصة .

[١٠] ومن أحسن ما قيل في إهداء خاتم قول بعض الكتاب :

هديتي خاتم لذي أدب مُذَكَّرَةٌ عهد حاتمِه
لو نُقِشَتْ مُقَلَّةٌ بناظرها لصير العينَ فصَّ خاتمِه

[١١] أحسن ما قيل في إهداء كُرسِي قول منصور الفقيه :

عِشْتَ حَمِيدًا وطالَ عُمُرُكَ وطابَ في المَكْرَمَاتِ ذِكْرُكَ
أهديتُ شيئاً يَقلُّ لولا أُحْدِثُ الفألَ والتَّبرُّكَ
كرسي تفاءلت فيه لَمَّا رأيت مقلوبه يَسُرُّكَ

[١٢] وأهدى بعضهم إلى صديق له نبأ وكتب إليه :

تفاءلتُ بأن تبقى فأهديتُ لك التَّبَقَا
فأبقاك إله الخلق قى ما سرَّك أن تَبْقَى
وأشقى الله شانيب لك وحاشا لك أن تَشْقَى

[١٣] أحسن ما قيل في إهداء النعل :

نعل بعثتُ بها لتلبسها قدَّم لها دَرَجٌ إلى المَجْدِ
لو كان يصلحُ أن يُشَرَّكَها خدَى جعلتُ شراكها خدَى

[١٠] المقلة : العين كلها ، والناظر ، سواد العين الذي فيه إنسانها

[١١] إن كلمة كرسى حين تقلب تصبح « يَسُرُّكَ » وهي كلمة يتفاءل بها حيث يتضمن السرور وهو ما يسعد الناس جميعاً .

[١٢] شانيك : كارهك ومبغضك .

[١٣] لها دَرَجٌ : طريق . يقال : شَرَّكَ النعل : جعل لها شِراكاً (وهو سير النعل على ظهر القدم) .

ولسنا مع هذا الذى تهون عليه نفسه فيجعل من خده شراكاً لنعل فلان أو غيره ، فقد كرم الله بنى آدم فما بالهم تهون عليهم أنفسهم ؟!

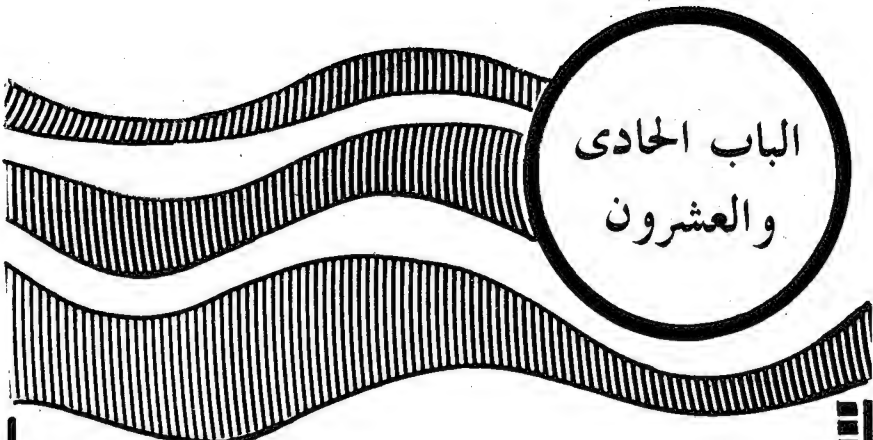
[١٤] وفي إهداء السكين قول جَحْظَة :

أَهْدِيْتُ سَكِينًا إِلَى سَيِّدٍ شَرَّفَهُ اللَّهُ بِآرَائِهِ
رَأَيْتُهَا فِي كَفِّ ذِي نَجْدَةٍ تَعْمَلُ فِي أَرْوَاحِ أَعْدَائِهِ

[١٥] وكتب مؤلف الكتاب إلى صديق له أهداه سُكْرًا وَشَمْعًا :

بَعَثْتُ إِلَى سَيِّدِي سُكْرًا حَلَاوَتُهُ فِي قَرَارِ الصُّدُورِ
وَشَمْعًا يُمَزَّقُ ثَوْبَ الدُّجَى وَيُلْبِسُ جِيرَانَهُ ثَوْبَ نُورِ





الباب الحادى والعشرون

فى المراثى والتعازى

- من أحاسن المراثى .
- من أحاسن ما قيل فى المقتولين .
- من أحاسن ما قيل فى مرثية المصلوب .
- من أحاسن ما قيل فى ولد صغير .
- من أحاسن التعازى .
- من الأمثال السائرة فى التعازى .
- أحسن ما قيل فى التعزى عن الميت .

في المرائى والتعازى

[١] من أحاسن المرائى :

[أ] قول ابن المعتز :

قد استوى الناس ومات الكمال وغال صرف الدهر زين الرجال
هذا أبو القاسم في نعشه قوم وا انظروا كيف تزول الجبال !؟

[ب] وقول بعضهم :

عجباً للموت في تصريفه ليس يحسو كأسه إلا خطير
يدع الأذنان ما يقربها وعلى الهامات مازال يدور

[١ / أ] يقال : رثى الميت رثيا ورثاء ومرثاة ومرثية : عدد محاسنه . والرثاء فن من فنون الأدب يراد به : بكاء الميت ، وتعدد محاسنه ، ونظم الشعر فيه . والتأبين : هو الثناء على الشخص بعد موته .

[١] كان الفقيد يفوق غيره من الناس كمالاً ، وبعد موته تساوى الجميع .
غال صرّف الدهر : نالت وأصابته نوائبه وحداثته : زين الرجال .

[١ / ب] تصريفه : تصرفه . يحسو : يتناول ويذوق ويشرب . الأذنان عكس العروس . وهم يقولون :

عش في القرى رأساً ولا تعش مع الأذنان مُدناً
والهامات جمع هامة ، والهامة : الرأس .. وكما قالوا :

الموت نقاد على كفه جوا هر يختار منها الجياد

[٢] ومن أحاسن ما قيل في المقتولين :

[أ] قول ابن الرومي :

كسَنَهُ القَنَا حُلَّةً من دَمٍ فَأُضْحِثْ لَدَى اللَّهِ من أَرْجَوَانِ
جَزْئُهُ مُعَانِقَةُ الدَّارَعَيْنِ مُعَانِقَةُ القَاصِرَاتِ الحِسانِ

[ب] وقول منصور الفقيه في المراثي :

أَقُولُ وقد هَدَنِي قَوْلُهُمْ : مَضَى ابنُ عَقِيلٍ إلى رَبِّهِ
لَئِنْ أَشْبَهَ النَّاسَ في مَوْتِهِ فَقَدْ عاشَ دَهْرًا بلا مُشْبِهِ

[٣] ومن أحاسن ما قيل في مراثية المصلوب قول ابن الأنباري :

عَلَوْ في الحَيَاةِ وفي المَمَاتِ لَحِقَّ أَنْتَ إحدى المعْجِزَاتِ
كَانَ النَّاسَ حَوْلَكَ حينَ قاموا وَفُودٌ نَدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ

[٢] القنا : اسم جنس جمعى واحده قناة وهى الرمح الأجوف . والأرجوان :
زهر شجر من الفصيلة القرنية شديد الحمرة ، حسن المنظر ، والأرجوان :
الصَّبْعُ الأحمر .

معانقة الدارعين : ملاقة الأبطال لابسى الدروع .

والقاصرات الحسان : الحور العين : قاصرات الطرف .

[٣] ابن الأنباري هو أبو الحسن ابن الأنباري الذى أجاد القول في رثاء ابن
بقية وزير عز الدولة وكان برا جواداً نقم عليه عز الدولة أمراً فقبض عليه ،
وسمل عينه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه . وقد بلغ من جمال هذه القصيدة أن
تمنى عضد الدولة لو كان المصلوب . وتقال فيه تلك القصيدة ، ولم يسمع
بمثلها في مصلوب . وهاهى ذى معانى الأبيات :

١ — كنت رفيع القدر حياً ، وأنت الآن رفيع المكان ميتاً .

٢ — الوفود جمع وفد وهو جماعة من الناس يقدمون في بعض المطالب ،
والندى : الكرم والعطاء . والصلات : جمع صلة وهى العطية .

كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيئًا وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ احْتِفَاءً كَمَدَّهُمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ غُلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ
أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَعَاذُوا عَنْ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ
لِعُظْمِكَ فِي النُّفُوسِ تَبِيثٌ تُرْعَى بُحْرَاسٍ وَحُفَاطٍ ثِقَاتِ
وَتُشْعَلُ عِنْدَكَ النَّيْرَانُ لَيْلًا كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ
رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلِ زَيْدٍ عَلَاهَا فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَاتِ
وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأْسٌ تُبَاعِدُ عَنْكَ تَعْيِيرَ الْعُدَاةِ
أَسَأَتْ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَأْرَتْ فَأَنْتَ قَتِيلٌ ثَارٍ النَّائِبَاتِ

٣ - المعنى واضح .

٤ - احتفاء : أى مبالغة فى إكرامهم . والهبات : جمع هبة ، والمقصود بها العطية .

٥ - يريد أن بطن الأرض أضيق من أن يسع فضلك .

٦ - السافيات : الرياح التى تذرّو التراب .

٧ - لعظمتك : لكبرك فى النفوس تحفظ بالليل بحراس وحفظة موثوق بهم .

٨ - كانت النيران توقد أيام حياتك للقرى فصارت توقد حولك فى مماتك يوقدها الحراس أثناء الليل .

٩ - المطية : الدابة . شبه الجذع بها ، وزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم - طالب بالخلافة فى زمن هشام بن عبد الله فقتل وصلب .

١٠ - تأس : اقتداء ، تباعد عنك : تُذهب عنك نسبة الأعداء إليك العار وهو العيب .

١١ - استأثرت : طلبت الثأر ، وأصلها : استأثرت فخففت همزتها ، فأنت قتيل ثأر النائبات نائبة يعنى الطلب بدمها . جمع نائمة وهى النازلة .

وكنْتَ تَحِيرُ مِنْ صَرْفِ اللَّيَالِي فَعَادَ مُطَالِبَا لَكَ بِالتَّرَاتِ
 وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامٍ بِفَرْضِكَ وَالْحَقُوقِ الْوَاجِبَاتِ
 مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَافِي وَنُحْتُ بِهَا خِلَافَ النَّائِحَاتِ
 وَلَكِنِّي أَصْبَرُ عَنْكَ نَفْسِي مَخَافَةَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْجُنَاتِ
 وَمَالِكَ ثُرْبَةٍ فَأَقُولُ تُسْقَى لِأَنَّكَ نُصِبُ هَطْلِ الْهَاطِلَاتِ
 عَلَيْكَ تَحِيَّةَ الرَّحْمَنِ تُتْرَى بِرَحِمَاتِ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

[٤] وَمَنْ أَحَاسِنَ مَا قِيلَ فِي مَرثِيَةِ الْوَلَدِ :

[أ] قول العتبي :

دَعَاكَ يَا بُنَيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي قَرَدْتُ دَعْوَتِي بِأَسَى عَلَيَّا
 بِمَوْتِكَ مَاتَتِ اللَّذَائِثُ عَنِّي وَكَأَنَّ حَيَّةً إِذْ كُنْتُ حَيًّا
 فَيَا أَسْفَى عَلَيْكَ وَطَوَّلَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ رَدَّ شَيْئًا

[ب] وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

أَبْعَدَ الشَّمْلِ وَالنَّعْمِ صِيرْتَ إِلَى الْقَبْرِ !؟
 فَمَا يَشْهَدُكَ الْأَهْلُو نِ إِلَّا هَيْئَةَ السَّفَرِ

١٢ — تَجِيرُنَا : تَنْقِذُنَا . مِنْ صَرْفِ دَهْرٍ : مِنْ حَوَادِثِهِ . وَالتَّرَاتِ : جَمْعُ تَرَةٍ وَهِيَ الثَّأْرُ .

١٣ — خِلَافَ النَّائِحَاتِ : وَبَكَيْتِ بِالشُّعَارِ عَلَى خِلَافِ نُوْحِ النِّسَاءِ .

١٤ — مِنَ الْجُنَاتِ : جَمْعُ جَانٍ وَهُوَ الْمَذْنِبُ .

١٥ — الْهَاطِلَاتِ : السَّحَبُ الْمُمْطِرَةُ .

١٦ — تُتْرَى : تُتَوَالَى . غَوَادٍ رَائِحَاتِ : مَعَ رَحِمَاتٍ تُتَعَاقِبُ تَذْهَبُ الْوَاحِدَةُ فَنَاقِي الْأُخْرَى .

[١/أ] قِيلَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ حِينَ تَوَفَّى لِأُمِّي عَبْدَ اللَّهِ الْعَتَبِيُّ بَنُوْنَ فَجَعَ بِهِمْ ، وَمَاتَ فِي آخِرِهِمْ ابْنٌ لَهُ يَكْنَى أَبُو عَمْرٍو وَكَانَ يَقُولُ الشَّعْرَ فَقَالَ فِيهِ .

يزورونك في العيد من في الفطر وفي النحر
وقد كنت وكانوا لك في الإلطاف والبر
وما تنزل من نحر ولا توضع من حجر
فلما وقع اليأس تناسوك على ذكر
وفي الأحشاء من ذكرا ك ما جل عن الصبر

[٥] لآخر في ولد صغير :

إن يكن مات صغيراً فالأسى غير صغير
كان ريحاني فقد أص سج ريحان القبور

[٦] من أحاسن التعازي :

[أ] قول أبي العتاهية :

اصبر لكل مصيبة واعلم بأن المرء غير مُخلد
وإذا ذكرت مصيبة تشجى بها فاذكر مصائبك بالنبي محمد

[ب] وقول آخر متازع فيه :

إني أعزبك لا أني على ثقة من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزى بياقي بعد تغزية ولا المعزى ولو عاشا إلى حين

[٦/أ] أبو العتاهية : هو إسماعيل بن القاسم يكنى أبا إسحاق نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيّاً خليعاً ، ثم ألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهداً ، وكان بخيلاً شديد البخل ، غلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هـ ببغداد . ويمتاز شعره بالسهولة ، ووضوح المعنى ، وتناول الخواطر العامة ، فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة ، ويكاد شعره من السهولة يكون نثراً .

يقال : شجى يشجى بالهم : لم يجد منه مخرجاً .

[جـ] وقول ابن المعتز :

لا تُخزَنَنَّ وُقَيْتُ الحزنِ والألما ولا عِدْمَتُ بقاءِ يَصْحَبُ النِّعما
أليسَ قَدْ قِيلَ فيما لَسْتُ تُنْكِرُهُ مِنْ مَكْرُمَاتِ الْفَتَى تَقْدِيمُهُ الحُرْمَا
يا شامتا بِنَبِيٍّ وهبٍ وقد فُجِعُوا لا تَشْمَتَنَّ بِنَقْصِ زادِهِمْ كَرَمَا

[٧] ومن الأمثال السائرة في التعازي :

[أ] أحسنَ عَزاءَكَ عن أخيكِ فَإِنما سَلَكَ الزمانُ به سَبِيلَ الناسِ

[ب] وقال مؤلف الكتاب للأمير أبي العباس :

قل للمليكِ الأَجَلُ قَدَرًا لا زِلْتُ بَدْرًا تَحِلُّ صَدْرًا
أنى أعزىكَ عن عزيز كان لَرِيبِ الزمانِ عُذْرًا
وكان طُهرًا فصار أجرا وكان ظُهرًا فصار ذُخرًا

[٨] أحسن ما قيل في التعزى عن الميت :

يعزى المعزى ثم يمضى لشأنه ويبقى المعزى في أحرَّ من الجَمْرِ
ويسلو المعزى في ليالٍ قلائل ويبقى المعزى عنه في ظلمة القَبْرِ !



الباب الثاني والعشرون

في فنون من الأحاسن مختلفة الترتيب

- أحسن ما سمعت في الشمعة .
- أحسن ما سمعت في جارية سوداء .
- أحسن ما سمعت في النبي عن احتقار العدو الصغير .
- أحسن ما سمعت في الشماتة بموت عدو .
- أحسن ما قيل في الاعتذار عن الخط الدقيق .
- أحسن ما قيل في الاعتذار عن شكاية خسيس .
- أحسن ما قيل في تسلية محبوب .
- أحسن ما قيل في بخل الجواد .
- أحسن ما قيل في السرور بالبشرى .
- أحسن ما قيل في الوداع .
- أحسن ما قيل في توديع المشكور .
- أحسن ما قيل في موقف للوداع .

في فنون من الأحاسن مختلفة الترتيب

[١] أحسن ما سمعت في « الشمعة » قول صاحب :

ورائق القَدِّ مُسْتَحَبَّ يجمع أوصاف كُلِّ صَبٍّ :
صُفْرَةٌ لَوْنٍ، وَسَكَبَ دَمْع وذَوْبَ جِسْمٍ، وَحَرَّ قَلْبٍ

[٢] أحسن ما سمعت في « جارية سوداء » قول بعض الشعراء :

قالوا عَشِيقَتٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ أَسْوَدًا مَهْلًا عَلِقَتْ بِأُضْعَفِ الْأَسْبَابِ
فَأَجَبْتُهُمْ مَا فِي الْبَيَاضِ فَضِيلَةٌ وأرى السَّوَادَ نَهَايَةَ الطَّلَابِ
أَهْوَى الشَّبَابَ لِأَن رَأْسِي أَشْيَبُ يُدْنِي الْفَنَاءَ وَأَحَبُّ لَوْنِ شَبَابِي
وَكَذَلِكَ الْكَافُورُ بَرْدٌ قَاطِعٌ وَالْمَسْكُ أَذْكَى الطَّيِّبِ لِلتَّطْيَابِ
لِلْمُقَلَّةِ الْحَسَنَاءِ فِيهِ تَفَاخُرٌ وَبِهِ تَتَمُّ صَنَائِعُ الْكُتَّابِ
وَبِهِ يُجَمَّلُ كُفٌّ كُلِّ خَرِيدَةٍ وَبِهِ تُكْحَلُ عَيْنُ كُلِّ كَعَابِ
فَتَتَعَتَعُوا عِنْدَ الْجَوَابِ وَعَادَتِي أَنْ تُخْرَسَ النُّطَاقُ عِنْدَ جَوَابِي

[٣] أحسن ما قيل في النهي عن احتقار العدو الصغير :

فَلَا تُخْتَقِرَنَّ عَدُوًّا رِمَاكَ وَلَوْ كَانَ فِي سَاعِدَيْهِ قِصَرٌ
فَإِنَّ السُّيُوفَ تَحْزِرُ الرِّقَابَ وَتَعْجِزُ عَنْ أَنْ تَنَالَ الْإِبْرَ

[٤] أحسن ما قيل في الشماتة بموت عدو :

قُلْتُ لَهُ لَمَّا مَضَى وَانْقَضَى لَا رَدَّكَ الرَّحْمَنُ مِنْ هَالِكٍ
يَا مَلِكِ الْمَوْتِ تَسَلَّمْتَهُ مِنِّي فَسَلَّمَهُ إِلَى مَالِكٍ

[٥] أحسنُ ما قيل في الاعتذار عن الخطِّ الدقيق :

تقول وقد كتبتُ دقيقَ خطٍّ إليها لم تحبَّتِ الجليلا ؟
فقلتُ لها : عَشِقتُ فصارَ خطِّي ضعيفًا مثلَ صاحبه نحيلًا

[٦] أحسن ما قيل في الاعتذار من شكاية خسيس :

إن كنتُ أشكو من يدقِّ عن الشكاية في القريض
فالفيل يجزع وهو أعظمُ ما رأيتُ من البعوض

[٧] أحسن ما قيل في تسلية محبوس قول البحتري :

أما في رسول الله يوسفُ أسوةٌ

لمثلك محبوسا على الضيم والإفك !؟

أقام جميل الصبر في السجن برهَةً

فأض به الصبرُ الجميل إلى الملك

[٨] أحسن ما قيل في بخل الجواد قول بعضهم :

ورُبَّ جوادٍ يُمسِكُ اللهُ جوده

كما يُمسِكُ اللهُ السحابَ عن المطر

ورُبَّ كريمٍ تعتريه كزازةٌ

كما قد يكونُ الشوكُ في أكرمِ الشجر

[٩] أحسن ما قيل في السرور بالبشرى :

ورَدَ البشيرُ بما أقرَّ الأعينَا

وشفى النفوسَ فنلنَ غاياتِ المنى

[٧] سبق ذكر هذين البيتين في الباب الثاني في النبويات .

فَتَقَاسَمَ النَّاسُ الْمَسْرَةَ بَيْنَهُمْ
قَسَمًا وَكَانَ أَجَلُهُمْ حَظًّا لَنَا

[١٠] أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْوَدَاعِ :

أَيَا عَجَبِي مِمَّنْ يَمُدُّ يَمِينَهُ إِلَى إِلْفِهِ يَوْمَ الْوَدَاعِ فَيُسْرِعُ
ضَعْفُتُ عَنِ التَّوْدِيْعِ لَمَّا رَأَيْتُهُ فَصَافَحْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ

[١١] أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ فِي تَوْدِيْعِ الْمَشْكُورِ :

تَفَضَّلْتَ الْأَيَّامَ بِالْجَمْعِ بَيْنَنَا فَلَمَّا حَمَدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ
فَجَدُّ لِي بِقَلْبٍ إِذْ رَحَلْتُ فَإِنِّي مُخْلِيفٌ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضَّلَهُ عِنْدِي

[١٢] وَهَكَذَا يَقُولُ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ لِلْمُؤَلَّفِ لَهُ ، وَبِاسْمِهِ هَذَا
الْكِتَابِ ، وَقَدْ أَزِفَ رَحِيلَهُ عَنْ جَنَابِهِ كَمَا قَالَ أَبُو فِرَاسٍ :

مَوْقِرَ الظَّهْرِ وَقِرَاءً وَشُكْرًا

فَكَأَنَّهُ بِهِ وَهُوَ يُنْشِدُ :

وَمَوْقِفٍ لِلْوَدَاعِ أَلْبَسَنِي لِبَاسَ هَمٍّ يَسُوءُ مَوْقِعُهُ
فَقُلْتُ — وَالِدْمَعَ قَدْ شَرَقَتْ بِهِ — أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ أَوْدَعَهُ

« آخِرُ كِتَابِ أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ »

تَمَّ الْكِتَابُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

● الفهرس

الصفحة	الموضوع	الباب
٥	مقدمة المحقق .. ومقدمة المؤلف	تقديم
١٣	الحاسن الشعرية في الإلهيات .	الباب الأول
٢٣	في النبويات .	الباب الثاني
٣٣	في الملوكمات .	الباب الثالث
٣٧	في الإخوانيات .	الباب الرابع
٥١	في الأدبيات .	الباب الخامس
—	في الخمريات وقد أغفلنا ذكره .	الباب السادس
٥٩	في الربيع وآثاره .	الباب السابع
٦٩	في الصيف والخريف والشتاء .	الباب الثامن
٧٧	في الآثار العلوية .	الباب التاسع
٨٥	في الدنيا والدهر .	الباب العاشر
٨٩	في الأمكنة والأبنية .	الباب الحادى عشر
٩٩	في الطعاميات .	الباب الثانى عشر
١٠٥	في النساء والتشبيب بهن .	الباب الثالث عشر
—	في الغزل بالمذكر ، وقد أغفلناه .	الباب الرابع عشر
١١٧	في الشباب والشيب .	الباب الخامس عشر
١٢٥	في مكارم الأخلاق وفى المبدائح .	الباب السادس عشر
١٣٩	في الشكر والعذر ، والاستماعة والاستباحة	الباب السابع عشر
	وما يجرى مجراها .	

١٤٥	في مساوىء الأخلاق والأهاجى .	الباب الثامن عشر
١٥٢	في الأمراض والعيادات وما ينضاف إليها .	الباب التاسع عشر
١٥٧	في التهاني والتهادى .	الباب العشرون
١٦٣	في المراثى والتعازى .	الباب الحادى والعشرون
١٧١	في فنون من الأحاسن مختلفة الترتيب .	الباب الثانى والعشرون

رقم الإبداع ٧٥٢٧ - ٩٢